

الابا شنوده الثالث

خبرات في الحياة الجزء الأول

Experience of life
By H.H. Pope Shenouda III

١٩٨٨م

اسم الكتاب: خبرات في الحياة الجزء الأول.

اسم المؤلف: قداسة البابا شنودة الثالث.

المطبعة: الأنبا رويس الأوفست الكاتدرائية - العباسية.

رقم الإيداع بدار الكتب: ٥٦٥٨ / ١٩٨٨ م



حضرة صاحب القداسة والغبطة البابا شنودة الثالث

بابا الإسكندرية وبطريك الكرازة المرقسية

مقدمة

هذا الكتاب يتميز على كل الكتب الأخرى، بأنه مجرد فقرات متفرقة: كل منها تقدم لك خبرة معينة، أو فكرة، أو قصة قصيرة ذات معنى. وبعضها مختصر جدًا، وبعضها قد يطول...

إنه لا يقدم موضوعًا واحدًا، إنما العشرات من الموضوعات، كلها تدور حول موضوع واحد، هو الحياة العلمية.

ولا أستطيع أن أحدد تاريخًا معينًا لهذا الكتاب:

بعض خبراته كتبها قبل الرهينة، منذ حوالي الأربعين عامًا، وبعضها وأنا في الرهينة، وبعضها وأنا في الأسقفية أو البطيركية... وكلها أمور عملية. ومع ذلك فخبرات الإنسان في الحياة لا تحصى...

لقد أخترت لك ما قدمناه في هذا الكتاب. وهناك بعض آخر فضّلت أن يكون في كتاب عن الرعاية... لأنه خاص بها... وسيأتي وقته بمشيئة الرب.

ولقد فضّلت طبع الكتاب في هذا الحجم الصغير، لكي يمكنك أن تضعه في جيبك، أو تحمله معك حيثما كنت... وتقرأ في أي وقت، ولو شيئًا قليلًا... في أية صفحة تفتحها، دون أن تتقيد بتسلسل في الأفكار...

وهناك خبرات أخرى في الحياة، لا تصلح أن تكتب في كتب لعموم
الناس... لم تأت ساعتها بعد.
أتركك الآن إلى هذه التأملات، وإلى اللقاء في جزء آخر إن أحببت نعمة
الرب وعشنا.

البابا شنودة الثالث

اعتداد بالمركز، وبالماضي وبالشهرة.

ثم جاء من استطاع أن يكسب هذه القواعد الشعبية، إذ أحبها وخدمها في
اتضاع.

وانسحبت القواعد من تحتهم.

وبقوا حيث هم... قممًا بلا قواعد.

قممًا مرتفعة في الهواء... بلا قواعد.

★★★

[٤] نصيحة للسائق

قلت لسائق عربتي يومًا:

ليس المهم أن تصل بسرعة. إنما المهم أن تصل سليمًا...

★★★

[٥] الوقت المناسب

إن أردت أن يكون لكلمتك تأثيرها، تخير الوقت المناسب الذي تقولها فيه.

وضع أمامك قول الحكيم:

"تفاحة من ذهب في مصوغ من فضة، كلمة مقولة في محلها" (أم ٢٥:

١١).

إن كان هناك موضوع يهمك فلا تكلم فيه شخصًا مشغولًا أو متعبًا ويحتاج إلى راحة ولا يحتمل الكلام. ولا تكلمه إن كان متضايقًا وهناك شيء يحزنه...
 تكلم حينما تكون الأذن مستعدة لسماعك. وحبذا لو كانت مشتاقة إلى سماعك.

يستثنى من هذا: كلمة التوبيخ، أو كلمة يوحنا إلى هيرودس.
 المهم أن تضع أمامك أن تقول:
 كلمة تجد أذنًا تسمعها.

★ ★ ★

[٦] الصمت...

أحيانًا يكون الصمت أبلغ من الكلام، وأكثر فائدة ونفعًا... أو على الأقل،
 قد يكون أقل ضررًا...

الصمت قد تكون فيه حكمة وقوة، وقد يكون فيه نبل ورصانة.

وأحيانًا نصمت لكي يتكلم الله.

وتكون كلمة الله أقوى من كل ما نريد أن نقوله...

وما أجمل قول الكتاب: "الرَّبُّ يُقَاتِلُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ تَصْمُتُونَ" (خر ١٤ : ١٤).

ظلَّ السيد المسيح صامتًا أمام بيلاطس. لم يفتح فاه ولم يدافع عن نفسه.

وفي صمته قال بيلاطس: لست أجد علة في هذا البار...

الصمت ينفع أحيانًا. ولكنه ليس قاعدة ثابتة.

أما القاعدة الحكيمة فهي أن يتكلم الإنسان حين يحسن الكلام، ويصمت

حين يحسن الصمت...

وحين يصمت، فليتكلم قلبه مع الله، طالبًا منه أن يتكلم بدلًا عنه...

★★★

[٧] موضوعات جانبية

★ هناك مَنْ يحدثك في موضوع ما. ولكنه لا يستطيع التركيز فيه، بل

يخرج منه إلى موضوعات جانبية عديدة.

وتحاول أن تلمّ الموضوع معه ولكنك لا تستطيع. لأنه ما يلبث أن يتفرع

مرة أخرى إلى موضوعات جانبية لا تحصى...

★ وقد تدخل في مناقشة نقطة عقيدية مع إنسان، فيخرج منها إلى نقاط

أخرى، كلما ترد على واحدة يتفرع منها إلى غيرها، وكأنك أمام منهج مترامي

الأطراف ولست بصدد مناقشة نقطة محددة!

★ وقد يجلس معك إنسان ليعاتبك في مشكلة بينكما. ولكنه في العتاب

يتطرق إلى نقاط جانبية تصغر أمامها المشكلة الأصلية.

★★★

وتترك هذه النقاط الجانبية آلامًا في النفس تحتاج بدورها إلى صلح!

إن الناس يحتاجون إلى التركيز في كلامهم وعدم السرحان في الأمور الجانبية. ونفس الأمر ينطبق أيضًا على الكتابة، وعلى التقارير، وعلى الوعظ...

★ وكثيرًا ما يجتمع البعض للحديث فلا يكون هناك موضوع ثابت لحديثهم. وإنما كل كلامهم أشتات، وأمور جانبية، ومتفرعات لا تحصى، ولا تجتمع...!

★★★

[٨] السهل والصعب

كل إنسان يستطيع أن يصيح، وأن يشتم ويهين غيره. ويقسو في أحكامه على الناس.

هذا أمر سهل يستطيعه الكل. ولا يدل على قوة...

أما الأمر الصعب فهو أن يضبط الإنسان لسانه ويتحكم في مشاعره وفي أعصابه. ويكون مهذبًا ومدققًا في ألفاظه مهما كانت الإثارة.

وهنا يكون المشتوم الضابط لنفسه أقوى، من الشاتم الفاقد لأعصابه...

★★★

الكلام عن المثاليات سهل، يستطيعه أي إنسان. وكذلك الإعجاب بالمثاليات أمر نسمعه من الكل.

أما الحياة في المثاليات فهي ليست في إمكان الكل، ولا حتى الذين
ينادون بها ويحثون الآخرين عليها.

المثاليات تحتاج إلى قلب نقي، وإلى إرادة وعزيمة. وأن يبذل الإنسان من
أجلها، ويحتمل في سبيل تنفيذها.

وحينما يصعد إنسان على الصليب، لأجل مثالياته، حينئذ يكون مثاليًا
بالحقيقة.

★★★

[٩] رفض!

هناك أشخاص يرفضون شيئاً مراراً عديدة. ثم تفوتهم الفرصة. ويشتهون ما
قد رفضوه قبلاً، فلا يجدونه...!

وقد يكون رفضهم السابق بدافع انفعالي ينقصه العمق وحكمة التفكير
الهادئ.

ما أحوج الكثيرين إلى التفكير الطويل قبل أن يرفضوا. فالرفض عن اقتناع
سليم، لا يعقبه ندم ولا شهوة...!

★★★

[١٠] عيني وأذني

كانوا يأتون إليّ قائلين: "إن العمل الفلاني قد تمّ بصورة كاملة وبكل انتقان".

فكنت أشكرهم ثم أبتسم في وجههم، وأقول لهم مازحًا:

"إنني تعودت أن أصدق عيني، أكثر مما أصدق أذني". ثم أذهب وأرى

الشيء على الطبيعة.

★★★

[١١] عادت إلى الفلك

حينما تركت الأسقفية، وعدت إلى مغارتي في أوائل يناير سنة ١٩٦٤م،

وجدت الراهب أنطونيوس على بابها. فقال لي: "كنت أعلم أنك لا بد ستعود"

واحتضني بقوة حتى صرنا واحدًا.

وتذكرت حينذاك أن القديس أرسانيوس المتوحد حينما رجع إلى برية

شيهيت، قال لتلاميذه: إنهم عتيدون أن يقولوا عن أرسانيوس ما قيل في قصة

الطوفان:

إن الحمامة إذ لم تجد موضعًا لقدميها، عادت مرة أخرى إلى الفلك.

★★★

[١٢] من الداخل

كثير من الوعاظ يتكلمون عن الزينة والحشمة، ويحثون على الاهتمام بوقار المظهر الخارجي، بينما المهم في نقاوة القلب، الذي إن دخلته محبة الله، زالت كل مظاهر عدم الحشمة بدون وعظ...

إن إصلاح الداخل هو الأساس.

ولكننا نوبخ الشبان على طول الشعر.

ونوبخ البنات على الملابس وطول الأظافر، وننسى القلب!

شبابنا محتاج أن يعرف ما هو معنى القوة، وما هو الجمال، بطريقة روحية... كذلك ينبغي أن يعرف معنى الحرية الحقيقية، وهل الحرية هي التحرر الداخلي من الخطأ؟ أم هو اللامبالاة وعدم اللامبالاة...!

لعل تغيير نظرة الفكر هذه، هي ما قصده الرسول بقوله: "تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ..." (رو ١٢ : ٢).

إننا نريد جيلاً وشعباً ينظر إلى القيم بمقاييس روحية يقتنع بها. وحينئذ تتجه كل طاقاته نحو الخير.

إن المظهر الخارجي، دليل على أن في داخل القلب شيئاً. ويأتي صلاحه أو إصلاحه بالإقناع وليس بالتوبيخ والإرغام. فلنبداً بالداخل إذا...

★ ★ ★

[١٣] مرآة محطمة

إنني أعرفه منذ زمن بعيد. وهو طول عمره إنسان صريح صادق ومن طبعه أنه لا يتملق أحدًا ولا يجمال أحدًا على حساب الحق...

قابلني. فسألته عن حاله، فقال لي:

عبيي أنني مرآة تقدم لكل من يواجهها صورة حقيقية عن نفسه. والناس - للأسف الشديد - لا يحبون صورتهم الحقيقية...

وقد أرادوني أن أكون مكياجًا، لا مرآة...

وأنا لست كذلك. لذلك حطموني لأنني كلمتهم بالصدق والصراحة. شوهوا سمعتي. ووصفوني بأبشع الأوصاف... وهوذا أنا الآن، وقد أصبحت مرآة محطمة...

فقلت له: هل تعبت نفسك لما هاجموك؟ وهل غيرت أسلوبك؟

فنظر إليّ نظرة عميقة، ثم قال:

لقد وجدت اليوم ما عزاني: لي صديق مريض بجمى شديدة. وأهله يريدون كل يوم أن تتخفض حرارته وهي لا تتخفض... وقد زرته اليوم. وأراد أخوه أن يطمئن على حرارته. ولكنه لما قرأ الترمومتر، وجده على العكس يشير إلى ارتفاع في الحرارة. فاستشاط غضبًا. وامسك الترمومتر في غيظ ودقّ به الحائط، فحطمه!

مسكين هذا الترمومتر الصريح الصادق. ما ذنبه؟!

إنه مثلي: مرآة محطمة...!

★★★

[١٤] بينما...

كان ذلك في سنة ١٩٤٨م، وقد قرأت مجلداً هاماً يناقش موضوعات

لاهوتية تحتاج إلى إمعان فكر وتعمق وتركيز.

فكتبت هذه العبارة على الكتاب بعد قراءته:

"بينما يبحث علماء اللاهوت في هذه الأمور العويصة، يكون كثيراً من

البسطاء قد تسللوا داخلين إلى ملكوت الله..."

★★★

[١٥] الأذن الواحدة

لقد خلق الله لك أذنين - وكأنهما رمز، كلٌّ منهما في اتجاه. بإحدهما

تسمع الرأي وبالأخرى تسمع الرأي الآخر أو الرأي المضاد...

وعقلك كائن بين الأذنين، يزن كلاً من الرأيين.

لا تكن لك أذن واحدة لئلا يدفعك البعض في طريق خاطئ.

ولا تصدق كل ما تسمعه أذنك من كلام، قبل أن تسمع الرد على هذا

الكلام.

بالأذن الواحدة قد تبعد عن الحقيقة، أو تخذلك أنصاف الحقائق.

وبالأذن الواحدة لا تكون عادلاً، وقد تظلم البعض وتسوء علاقتك مع غيرك بلا سبب كلما يدسّ أحدهما في أذنك كلاماً، قل لنفسك: أين أذني الأخرى؟

★ ★ ★

[١٦] وقت الغروب

كنت متعودًا أن أتمشى في البرية في وقت الغروب. فلما رأيت الشمس في الأفق وهي تغيب وتغرب، قلت لنفسي، في وقت الغروب:

لم يحدث أن الشمس أخفت وجهها عن الأرض.

إنما هي الأرض التي أدارت ظهرها للشمس.

★ ★ ★

[١٧] أيهما أفضل؟

رأيت بين رهبان الأديرة نوعين: أحدهما عابد والآخر عالم.
أحدهما قد انحل من الكل ليرتبط بالواحد.
والآخر يحيط به الكل، يشرح ويفسر.
وكان كل منهما له مزاياه وله من يعجب به وبطريقته.

ودارت بين الجموع مناقشة تتحاور في أيهما أفضل:

العابد أم العالم.

★★★

[١٨] العمل الجماعي Teamwork

يوجد نوع من الناس، يمكنه أن ينجح جدًّا، إذا عمل وحده كفرد. بينما يفشل تمامًا إذا عمل كعضو في مجموعة...

إذا سرعان ما ينقسم عليهم، أو يفقد القدرة على التعاون معهم. فيتمسك برأيه جدًّا، وينتقد آراءهم أو يهاجمها... يُظهر لهم أخطاءهم، ويظهرون له أخطأه، ولا يستطيع أن يستمر في العمل معهم...! وهذه هي إحدى آفات مجتمعنا...

ونحن محتاجون أن ندرب أولادنا على العمل الجماعي، أو العمل مع جماعة، في تعاون واتساق للوصول إلى غاية واحدة معًا... في حب وفي إنكار للذات.

وفي داخل الكنيسة أيضًا ندرب الشمامسة على أن يرتلون معًا، كمجموعة أو خورس، بصوت واحد... أما الترتيل الفردي فهو سهل وبإمكان أي أحد...

★★★

[١٩] أماننا طريقان

قلت لبعض الآباء الأساقفة في يوم سيامتهم:

أماننا طريقان لا ثالث لهما.

إما أن نتعب ويستريح الناس.

وإما أن نستريح نحن، ويتعب الناس.

وأنا بهذه السيامة قد دعوتكم إلى التعب. وثقوا أن بتعبكم سوف تستريح

ضمائركم، وسوف تستريح الخدمة أيضًا...

وكررت نفس الكلام في سيامة الآباء الكهنة.

★★★

[٢٠] مع أب اعترافك

لا تعرض أمامه قرارات لك، وإنما أسئلة...

ولا تطلب منه مجرد الموافقة على شيء قد انتهيت منه، واستقر في فكرك

وعزيمتك! إنما اطلب منه المشورة، والرأي، والمعرفة.

★★★

[٢٢] مشاكل أم حلول؟

ما أكثر الذين قدموا لي مشاكل.

وما أقل الذين قدموا لي حلولاً.

ليت الذي يقدم مشكلة، يقدم معها اقتراحاته لحلها، على شرط أن تكون
حلولاً ممكنة وعملية.

★★★

[٢٢] الحق المنتفخ

في إحدى المرات وقف (الحق) يفخر على الباطل ويدينه في قسوة
ويحتقره. بينما (الباطل) ينحني أمامه في انسحاق قلب.

ونظرت إليهما في عمق ثم قلت:

لقد عرفت يا رب: أن الباطل المنسحق أفضل بكثير من (الحق)

المنتفخ...

هذا الباطل بانسحاقه هو في طريقه إليك ليصبح حقًا. وذلك الحق بانتفاخه

إنما يبعد عنك ويصير باطلاً.

وتذكرت قصة الفريسي والعشار (لو ١٨).

[٢٣] من الذي يصلحون؟

أحياناً كان الله يرسل لنا خداماً صالحين لسيامتهم في درجات الكهنوت...

نشكره على ذلك.

وفي أحيان كثيرة، كانت تقابلنا مشكلة متكررة، وبخاصة بالنسبة إلى خدام المهجر، وهي:

الذين يصلحون، لا يريدون.
والذين يريدون، لا يصلحون.

★★★

[٢٤] لها إرادة

إن كتلة ضخمة من الخشب لا تستطيع أن تقاوم التيار، بل يجرفها معه أينما سار.

بينما سمكة صغيرة تستطيع أن تقاوم التيار، وتسير إلى حيث تشاء.
ذلك لأن فيها حياة ولها إرادة.

★★★

[٢٥] لا شيء...!

رأيت نوعاً من الناس يتكلم كثيراً ولكنه لا يقول شيئاً... أي لا يقدم كلامه أي نفع...

وزن كلامه، لا يتفق مطلقاً مع حجمه...

إنه لا يجد شيئاً يقوله، فيقول أي شيء، ويسهب... ويقضي وقتاً طويلاً

يتكلم، وتكون محصلة كلامه هي لا شيء... ويرغم سامعه على إضاعة وقته
 في سماع هذا اللا شيء...

والأعجب من هذا كله، انه يطلب موعدًا آخر، لكي يكمل هذا اللا شيء،
 بلا شيء آخر من نفس النوع!!

ليت كل إنسان يزن أقواله قبل أن يقولها ويرى هل تستحق الوقت الذي
 تستغرقه؟ وهل تأتي بفائدة؟ وهل تستحق السماع؟

ويضع في اعتباره أيضًا مدى احتمال السماع. وينظر إلى ملامحه ليرى
 مدى رغبته في السماع...

فإن شعر أن السماع يريد أن يعتقي، يطلق سراحه بسلام...

★★★

[٢٦] مساهمة!

في كل بناء كنا نبنيه...

كان هذا الأخ يحاول المساهمة فيه. ومساهمته كانت كلامًا لا عملًا...
 وكان يساهم بالنقد وليس للبناء، وكنا نحاول أن نستفيد من نقده، ونشكره

لأنه ساهم، ولم يقف (سلبيًا)!

★★★

[٢٧] موضوعات جانبية

★ هناك من يحدثك في موضوع ما. ولكنه لا يستطيع التركيز فيه، بل يخرج منه إلى موضوعات جانبية عديدة.

وتحاول أن تلمّ بالموضوع معه، ولكنك لا تستطيع. لأنه ما يلبث أن يتفرع مرة أخرى إلى موضوعات جانبية لا تحصى...

★ وقد تدخل في مناقشة نقطة عقيدية مع إنسان، فيخرج منها إلى نقاط أخرى، كلما ترد على واحدة يتفرع منها إلى غيرها، وكأنك أمام منهج مترامي الأطراف ولست بصدد مناقشة نقطة محددة!

[٢٨] لا يكفي

إذا أردت أن تشرك أحداً معك في عمل، فلا يكفي حماسه للعمل، ولا يكفي اتفاقه معك في الغرض... وإنما ينبغي أن يتفق معك أيضاً في الوسيلة وكيفية التنفيذ...

إن شريكك في العمل قد يسيء إليك، أن كان أسلوبه خاطئاً، أو إن كانت طريقة تعامله منفرة، أو إن كانت وسائله موضع مؤاخذه...

خذ الخدمة أيضاً كمثال: جميع الناس يتفقون في أهمية الخدمة، ويتحمسون لها. ولكن ليس الكل واحداً في طريقة الخدمة...

أما أنت، فإخدم مع من توافق روحه روحك، وينسجم منهجه مع منهجك.
وإلا فإن أخطائه سوف تحسب عليك... وتجد نفسك - دون أن تقصد -
مشاركاً معه في المسؤولية عن كل تصرف خاطئ...
حقاً: من شروط المرافقة، الموافقة...

★ ★ ★

[٢٩] احتمال الكرامة

قال القديس الأنبا أنطونيوس الكبير:
"كثيرون يستطيعون أن يحتملوا الإهانة، لكنهم لا يستطيعون أن يحتملوا
الكرامة. لأن احتمال الكرامة أصعب من احتمال الإهانة..."
فالكرامة قد تدفع البعض إلى الكبرياء، بالتعالي على غيرهم، أو تجاهلهم،
أو إساءة معاملتهم، أو تغيير البيئة والأصدقاء وأسلوب الحياة... وقد تدفع إلى
الخيلاء، والحديث مع الناس بعظمة...
كل هذا دليل على أنهم لم يستطيعوا أن يحتملوا الكرامة، فغيّرت من
طباعهم ومعاملاتهم لغيرهم، كما قال الشاعر:
لما صديقي صار من أهل الغنى
أيقنت إنني قد فقدت صديقي

أما الإنسان القوي من الداخل، أو الإنسان المتواضع كالغذراء مريم، فإن الكرامة لا يمكنها أن تغيره.

إنه هو هو نفس الشخص، مهما نال من مراكز، أو غنى، أو ألقاب، أو سلطة، أو علم، ومهما مدحه الناس...

تراه على الرغم من هذا كله، لا يفقد بساطته ولا تواضعه ولا علاقته الطيبة بالناس. ولا يترك أصدقاءه القدامى، ولا يبحث عن بيئة جديدة تناسب كرامته...!



[٣٠] ما يسجله التاريخ

إن التاريخ لا يسجل كل شيء...

إنما يسجل الأمور الكبيرة فقط، ويسجل أعمال الكبار...

وهكذا فإن آلاف الأعمال والتصرفات، يعبر عليها التاريخ عبورًا ولا يلتفت إليها، كأن لم تكن... لأنها لا تستحق... والعالم نفسه ينساها بعد حين. إنها أمور صغيرة!

أما العمل الكبير فيبقى مدى الأجيال، لا يستطيع التاريخ أن ينساه فيما ينسى أمورًا عديدة وأشخاصًا عديدين...

ألك عمل كبير من هذا النوع؟

لا يسجله التاريخ، إنما يسجل في سفر الأحياء...

★★★

[٣١] صراحة

أنت تريد أن تكون صريحًا في الدفاع عن الحق.
 ولكن صراحتك كثيرًا ما تجرح الناس، فيستاءون، ويأخذون منك موقفًا...
 راجع نفسك. كم شخصًا استخدمت معه هذا الأسلوب الصريح الجارح،
 فخسرت كثيرًا بلا داع، وأيضًا لم تربح نفوسهم للرب.
 وكان يمكن أن تتكلم بهدوء، وبحكمة، وبمراعاة لشعور الآخرين، كما تكلم
 السيد المسيح مع السامرية، فربح نفسها، دون أن يחדش مشاعرها (يو ٤).
 لو أن الله أرسل ملاكًا ليكلم كل الناس عن أعمالهم الخفية والظاهرة،
 بصراحة... أكان أحد يستطيع أن يحتمل.
 نشكر الله أنه لا يستخدم معنا هذا الأسلوب (الصريح) الجارح، من فرط
 محبته ورقته، وإشفاقه على مشاعر الناس.

★★★

[٣٢] كل جليات له داود

لا تخف من الباطل أن ينتشر أو ينتصر...

إن الباطل لا بد أن يهزم أمام صمود الحق، مهما طال به الزمن.
وكل جليات له داود، ينتظره، وينتصر عليه... باسم رب الجنود...

★★★

[٣٣] استغلال التسامح

يخطئ من يشاء، على أي مستوى من الخطأ، باعتبار أن كلمة (أخطاء) ستمحو كل شيء، وينتهي الأمر، ولا عقوبة!
يحدث أن البعض في وظائفهم الحكومية، يكونون في منتهى الانتظام والالتزام، لأن هناك مساءلة وهناك عقوبة.

أما في الكنيسة فقد يتحول العمل فيها إلى فوضى، ولا مبالاة، وتكثر الأخطاء وتتنوع، بحجة أن رجال الدين المفروض فيهم التسامح!

وباسم التسامح، أو الفهم الخاطئ للتسامح، وقد لا تكون هناك أمانة كاملة في العمل وفي الخدمة: لا يلتزم أحد بمواعيد، ولا بعمل متقن، ولا بنظام. وإذا عوقب البعض بسبب أخطائه، يستاء كثيرون، ويعثرون!! كأنما العقوبة خطيئة أو قسوة. بينما ما أكثر العقوبات التي ذكرها الكتاب منذ آدم وقايين، إلى الطوفان وسدوم، وقورح ودathan وأبيرام.

إن الله عاقب عالي الكاهن لأنه لم يعاقب أولاده.

وفي العهد الجديد حنايا وسفيرة، وبار يشوع، وخاطئ كورنثوس.

★★★

[٣٤] حساب ردّ الفعل

يوجد أشخاص يتصرفون دون أن يحسبوا حسابًا لردود فعل أفعالهم، من حيث الأثر على الآخرين، وتصرفهم إزاءها. أكثر حكمة من هؤلاء، لاعب الشطرنج الذي لا يحرك قطعة، إلا ويحسب حسابًا: ماذا يكون موقف غريمه إزاءها؟

★★★

[٣٥] في أخطر مرحلة!

هناك قوم يعالجون مريضهم بأنفسهم، كيفما...! ولا يلجأون إلى الطبيب إلا عندما يصل المريض إلى أخطر مرحلة! هكذا في الخدمة: تحدث أحيانًا مشاكل. ويقول المسؤولون في الخدمة. "لا يصح أن نزعج البابا بأخبارنا المتعبة!" وإن أراد أحدهم أن يوصل أخبار المشكلة يمنعه وقد يصفونه بالخيانة بحجة أنه سيكشفهم... وتستمر المشكلة ولا تصل إليّ إلا بعد أن تكون قد تعقدت جدًّا ولم يعد حلها سهلًا. فإن عاتبتهم على ذلك يقولون: لم نرد أن نزعجك...!!

★★★

[٣٦] متى؟ ومتى؟

الإنسان الحكيم يعرف كيف يتصرف، ويعرف متى يتخذ قرارًا معينًا؟

متى تصلح الطيبة؟ ومتى يصلح الحزم؟

متى يصلح التأني؟ ومتى تجب السرعة؟

متى يصلح الصمت؟ ومتى يجب الكلام؟

إن الحكمة تعمل العمل المناسب في الوقت المناسب.

وذلك لأن كثيرًا من التصرفات تتحكم فيها مناسباتها.

★★★

[٣٧] البساطة والحكمة

ليست البساطة هي السذاجة.

وليست هي أخذ الأمور بدون فحص وبدون تفكير ولا تتناقض البساطة مع

الحكمة. فقد قال السيد المسيح "فَكُونُوا حُكَمَاءَ... وَبُسْطَاءَ" (مت ١٠: ١٦).

كيف إذاً يمكن الجمع بينهما؟ وما هو تعريف البساطة؟ أقول لكم بكل

بساطة:

البساطة هي عدم التعقيد، وليست عدم التفكير.

والكتاب يعلمنا البساطة الحكيمة، والحكمة البسيطة.

★★★

[٣٨] بداية بلا نهاية

قد نحدد مواعيد لمقابلة الناس، نعرف متى تبدأ، ولكننا لا نعرف متى تنتهي، أو لا نملك ذلك. والزائرون قد لا يهتمون بأن هناك مواعيد محددة آخرين بعدهم، فتستمر جلستهم، وتتشل كل المحاولات الرقيقة في إنهاؤها. ولعل هذا يذكرني بأن أحد الأدباء قال لضيوف من هذا النوع وهو يمزح معهم:

أهلاً بكم وسهلاً.

تأتون أهلاً، ولا تخرجون سهلاً.

★ ★ ★

[٣٩] في العام الجديد

أهو مجرد عام جديد في التقويم، أم في حياتك؟ كيف يكون عامًا جديدًا، إن دخلت إليه بنفس العادات والطباع والأخطاء، دون أن تغير في نفسك شيئًا؟ وقد تجمدت شخصيتك على وضع معين! ليترك تتحرك في هذا العام الجديد، ولو خطوة واحدة عملية، إلى وضع أفضل...

في العام الجديد لا تقدم لله نذورًا، ولا عهودًا، ولا وعودًا، هي فوق مستوى

إرادتك وقوتك، إنما أجمع كل رغباتك، وقدمها لله كصلاة، معترفًا بضعفك. ولا تنذر كما لو كنت واثقًا بقدرتك.

بدلاً من أن تعد الله بتغيير نفسك إلى أفضل، خذ منه وعدًا في صلاتك أن يغيرك إلى أفضل...



[٤٠] احترام الناس لك

لا تطلب احترام الناس لك...

وإنما اتركهم يحترمونك من تلقاء ذواتهم، لما يجدونه فيك من صفات تجبرهم على توقيرك.

ولا تعاتب غيرك إذا لم يحترمك، بل بالحري عاتب نفسك، إن كنت قد تصرفت بطريقة تقلل من احترام الناس لك.

واعلم أن الاحترام شيء، والخوف شيء آخر...

فقد يخافك الناس، لمركزك أو لسلطتك أو بطشك... ولا يكون هذا احترامًا منهم لك...

فالاحترام هو شعور باطني بالتوقير، تمجيدًا لصفات معينة سامية، أو لقيم روحية أو إنسانية.



[٤١] أفراح الخماسين

عدم الصوم في الخماسين شيء...

والتسبب في الأكل شيء آخر...

وكون الخماسين أيام فرح، لا يجوز فيها الصوم ولا المطانيات، ليس معنى

ذلك أن يفقد الإنسان ضبطه لنفسه!

وأن يأكل في وقت مناسب، وفي وقت غير مناسب، بطريقة تضره روحياً،

وتضره صحياً أيضاً، وتقده روحيات الصوم الكبير وروحيات البصخة...

وأفراح القيامة هي أولاً وقبل كل شيء أفراح روحية. وللجسد أن يشترك

في أفراح الروح. ولكن ليس له أن ينحل...!

[٤٢] إعداد كاهن للمهجر

إعداد كاهن للمهجر ليس أمراً سهلاً، فليس كل إنسان يصلح، سواء من

جهة النوعية الروحية، أو المواهب واتقان اللغة وحسن المعاملة.

إن وجد الشخص الذي يصلح، قد لا يوافق.

وإن وافق، قد لا توافق زوجته على الهجرة.

وإن وافقت زوجته، قد لا توافق كنيسة التي يخدمها وشعبه الذي يحبه.

وإن وجد الشخص الصالح، وتمت الموافقة من جميع الأطراف، ولو بعد جهد وتعب وإقناع، تبقى أماننا مشكلة أخرى، وهي ملء الفراغ الذي سيتركه في كنيسته.

وهذا قد يحتاج إلى تكرار القصة: الشخص الصالح هو الذي يوافق، وتوافق زوجته على قبول الكهنوت، وتقبله الكنيسة وتزكيه.



[٤٣] بين الإلغاء والإبقاء

حينما بدأت مسئوليتي اقترح عليَّ البعض إلغاء (الموالد) لما يحدث فيها من أخطاء، ولهو، وأمور غير روحية. وكانت أعياد القديسين في ذلك الوقت يسمونها (الموالد) وهي تسمية خاطئة.

على أن البعض قال لي رأيًا عكس ذلك وهو:

إن أعياد القديسين تقدم تقدمات شعبية، يمكن تنقيتها وقيادتها روحياً، فتؤول إلى الخير.

ونفذت هذا الرأي الثاني. وأمكن إصلاح ما في هذه (الموالد) من أخطاء. وصارت أعياد القديسين مناسبات روحية وضعت لها برامج مفيدة جداً، فيها التراتيل والألحان والوعظ والتسجيلات الصوتية، والأفلام الدينية، والمسابقات الكتابية، وفيها القداسات والتناول.

وتحولت إلى بركة بالإبقاء وليس بالإلغاء.



[٤٤] التزكيات

في بدء حياتي الرعوية، تعودت أن تصلني تزكيات عليها توقيعات كثيرين يطلبون سيامة أحد الأشخاص كاهنًا، أو سيامة أحد الرهبان أسقفًا...

وكنت لا أثق بهذه التزكيات إطلاقًا:

فالبعض يوقع على التزكية مجاملة. والبعض يوقع عليها جهلاً، أو خوفًا، أو خجلًا ممن يقدمها، أو ممن تُقدم عنه. والبعض يوقع على التزكيات بلا مبالاة، أي قد يوقع عليها وعلى غيرها، وربما على عكسها...
والبعض قد يوقع عن نفسه وعن آخرين أيضًا: عن أبنائه، وأقاربه وأصدقائه، مدعيًا أن لهم نفس رأيه، وأنه يمثلهم...! وقد لا يكون رأيهم كذلك...

وربما تمثل هذه التزكيات رأي شخص واحد، كتبها ومرّ على كل الباقيين يجمع توقيعاتهم، فوقعوا انقيادًا له...

لذلك كنت أستطلع رأي الشعب باللقاء المباشر معهم:

إما أن أذهب إليهم، أو أن يأتوا هم إليّ.

وكنت أوزع عليهم أوراقًا يكتب فيها كل منهم ما يشاء، دون أن يقرأ رأييه أحد. وكنت أستفيد جدًا مما يكتبون من معلومات، وأناقشها معهم بكل صراحة...

★★★

[٤٥] باسم الشعب

كثيرًا ما تصلني برقية بشأن أمر من أمور الكنيسة، يريد صاحبها أن يعطيها ثقلًا ووزنًا، فيقول باسم شعب كنيسة كذا أو يجعل توقيعها: شعب كنيسة كذا...

وربما يكون محتواها عبارة عن مجرد رأيه الشخصي، والشعب لا علاقة له إطلاقًا بما ورد فيها من كلام...

إنه يعتقد أنه ما دام قد اقتنع بشيء، فلا بد أن الكل أيضًا مقتنعون...!
فأريه هو الحق. والكل وراء هذا الحق!

وقد يذهب أحدهم إلى مكتب التلغراف، ويرسل مجموعة كبيرة من البرقيات، بصيغة واحدة تقريبًا وبتوقيعات أسماء متعددة، الله يعلم مدى علمها بكل هذا. والأمر يحتاج إلى دراسة على الطبيعة...

★★★

[٤٦] حتى ساعة الموت!!

كانت امرأة بارة جدًا، وقد مرضت بالسرطان. فتوجهت إلى الله بالصلاة، وأقيمت من أجلها صلوات وقداصات وأصوام.

ودخل السرطان في مرحلة خطيرة جدًا وقاربت ساعة الموت. فطلبتني، وكنت في ذلك الوقت أسقفاً، أستطيع زيارة الناس أكثر من الآن. فذهبت إليها، ووقفت إلى جوار فراشها، استمع إليها تشكو إلي نفسها:

قالت: إنني حزينة جدًا، لأن شكوكًا كثيرة تجول في فكري: ما قيمة الصلاة والأصوام والقداصات؟! وأين رحمة الله واستجابته؟!

كم صليت أن تتركني هذه الأفكار ولكنها مستمرة. فأقلق وأقول: هل سأفقد حياتي هنا، وأفقد أيضًا أبديتي بسبب هذه الشكوك؟

فقلت لها: لا تقلقي. إنها ليست أفكارك...

بل هي شكوك يلقئها الشيطان في ذهنك. وصلاتك تدل على أنك لا تقبلينها، وأنها ليست منك. والله لا يسمح أن بارة مثلك تتألم هنا وفي الأبدية أيضًا. إنك مثل لعازر الذي استوفى بلاياه على الأرض، واستحق أن يذهب إلى أحضان إبراهيم في طريق الأبدية السعيدة مع الله...

وإن كان الله يريد أن يأخذك إليه، فليس هذا ضد رحمته، ولا ضد الصلاة. فالأبدية متعة اشتهاها القديسون...

... ثم قرأت لها التحليل... واستراحت. وذهبت متعجباً من الشياطين التي

تحارب القديسين، حتى في ساعة الموت!!

★★★

[٤٧] شائعة!

هناك أناس إذا أرادوا الوصول إلى غرض ما، يطلقون شائعة مثيرة جداً
ضد هذا الغرض، وينشرونها بكل الطرق حتى يثار الناس، ويكثر الضجيج
والضوضاء.

وفي وسط هذا الجو المعكر، يحاولون الوصول إلى غرضهم!
والعجيب أنهم يجدون كثيرين يصدقون شائعاتهم.

★★★

[٤٨] أخطاء في النعي

كثيرون يستخدمون كلمة (الفقيد) حينما يتحدثون عن حبيب لهم رحل عن
عالمنا. كأن يقولوا مثلاً: ننعى الفقيد العزيز فلان!!
فالذين تركوا عالمنا ليسوا مفقودين. وهم أيضاً ليسوا موتى لأنهم أحياء في
السماء. إنهم مجرد منتقلين من عالم إلى آخر...
عبارة الراحل الكريم أفضل من كلمة الفقيد.

كذلك البعض يقول: "انتقل إلى الأمجاد السمائية فلان"... وهذا خطأ لاهوتي، لأن الأمجاد السمائية لا تكون إلا بعد القيامة والحساب في اليوم الأخير (متى ٢٥: ٣١ - ٤٦).

أفضل من عبارة (الأمجاد السمائية) أن نقول: إلى كورة الأحياء، أو إلى فردوس النعيم، أو إلى مجمع القديسين...

أو نقول: انتقل من عالمنا الفاني إلى العالم الباقي... وما يشبه هذه العبارات بعيداً عن (الأمجاد السمائية).



[٤٩] الرحلات إلى الأديرة

كثيرون يفكرون في ذواتهم فقط، حين يذهبون في رحلة تقيم يوماً كاملاً أو أكثر في أحد الأديرة البعيدة، مثل دير الأنبا أنطونيوس، أو دير الأنبا بولا... وقد يذهبون في أكثر من أتوبيس، برحلة أكثر من مائة شخص. وقد تصل إلى الدير أكثر من رحلة في نفس اليوم بمئات الضيوف...!

ويتحول هدوء الدير إلى ضوضاء. وتقف مشكلة في كيف تبيت هذه المئات من الرجال والنساء في الدير، وكيف تقدم لهم وسائل الراحة والخدمة.

ويفقد الرهبان حريتهم، ولا يشعرون أنهم تركوا العالم، ما دام العالم يسعى هكذا إليهم. وفي نفس الوقت لا يستفيد أعضاء الرحلات روحياً وسط كل هذا الضجيج والزحام. المشرفون على الرحلات لا يستطيعون أن يضبطوا النظام في حالات كهذه. وهكذا لا يستفيد الرهبان ولا الضيوف...

وإن رفض الدير قبول هذه الرحلات، يتضايق أعضاؤه ويتنمرون ويقولون: هل قطعنا كل هذه المسافات الطويلة لترفضونا، ونحن في هذا الفقر، وقد أوشكت الشمس على الغروب، وكيف نرجع؟! ويقع الدير في حرج! وبخاصة لأن كل هؤلاء لم يأتوا بتصريح مسبق، ولم يعطوا الدير فرصة لكي ينظم قبول هذه الرحلات.

إن الرحلة إلى الدير، رحلة لها هدف روحي، وينبغي أن تختلف عن رحلة إلى الهرم أو إلى المتحف.

والفائدة الروحية من زيارة الأديرة تأتي بالزيارات الفردية، أو بالرحلات القليلة العدد (لا تزيد عن عشرة مثلاً). وتكون بنظام دقيق تسلك به الرحلة، وببرنامج روحي يوضع لفائدة أعضائها.

وتكون باتفاق مسبق مع الدير، وتصريح خاص، ولا يفاجأ بها الدير، ولا تسبب له إحراجاً.

وأيضاً تراعي هدوء الرهبان وروحياتهم، هؤلاء الذين بُنى الدير من أجلهم،

والذين تركوا العالم وكل ما فيه التماساً للهدوء، الذي يساعدهم على الوحدة والتأمل والتفرغ للعبادة.

★★★

[٥٠] الحرية

كثير من الشباب كانوا حساسين جدًا نحو حريتهم الشخصية، وكانوا - حينما يبلغون سن الرشد أو قبله - يقولون إنه ينبغي أن يتمتعوا بحريتهم كاملة دون قيد، فيفعلون ما يشاءون...

فكنا نجيبهم بأن الحرية لها شرطان أساسيان:

١- أن يمارس الإنسان حريته بحيث لا يعتدي على حريات أو حقوق الآخرين.

٢- وبحيث عدم الإخلال بالنظام العام أو بالآداب والقيم والتقاليد المرعية. وكنا نقول إن هذين الشرطين ليسا قيدًا للإنسان الحر، بل هما حفظ له. ويشبهان شاطئ النهر.

إن الشاطئين ليسا قيدًا يحدّ حرية النهر، إنما هما حفظ لمياهه من الانسكاب على الجانبين. ولولاها لتحول النهر إلى مستنقعات...

★★★

[٥١] أغاني شعبية

أحيانًا ينظم البعض ترنيمة، يكون تلحينها على وزن أغانٍ شعبية!
ويظن هؤلاء أنه ما دام الكلام سليمًا، فلا عبرة بالموسيقى!! بينما الموسيقى
لها في حد ذاتها تأثير على العاطفة، لا يقل تأثير عن الكلام المنظوم.
إن ألفاظ الترانيم الروحية، لا تليق بها إلا موسيقى وألحان روحية تتناسب
معها.



[٥٢] التنوع والاختلاف

كثير من الناس يسرفون في استعمال عبارة الاختلاف، حيث لا يوجد
اختلاف، بل يوجد تنوع...!
فيقولون مثلاً: "ألوان مختلفة" بينما الألوان لم تختلف وإنما تنوعت. وقد
يكون في تنوعها جمال...
وبالمثل يقولون الأطعمة مختلفة، والطيور مختلفة، والأذواق المختلفة،
والعلوم المختلفة...! وقد لا يكون اختلاف بين كل هذا وإنما هو تنوع...
إن استعمالنا الكثير لعبارة (اختلاف) ومشتقاتها، قد يغرس في عقلنا
الباطن هذا المعنى!

وربما كلمة (تنوع) ومشتقاتها تكون أفضل.

★★★

[٥٣] الأمس والغد

حياتنا تمر تباعاً في سرعة عجيبة، حتى ما يستطيع الواحد منا أن يفرق بين اليوم والأمس والغد... لدرجة أنني كتبت مرة في مفكرتي هذين البيتين من الشعر:

ما حياتي غير أمسٍ عابرٍ .. هي أمسُ كلما طال الأمدُ
إن يومي هو أمس في غد .. وغدي يصبح أمساً بعد غد

★★★

[٥٤] التعامل مع المشاكل

عوّدت نفسي في تعاملي مع المشاكل، أن أتركها خارجاً، لا أدخلها إلى أعماقي، ولا أسمح لها أن تمارس ضغوطاً على نفسيّتي، أو على أعصابي... لا أفكر مطلقاً في تعب أو ألم المشكلة... إنما أفكر في كيفية حلها أو مواجهتها. وإن لم أجد حلاً، أتركها، وأعطيهما مدى زمنياً يحلها الله فيه، ولا يهمني طول هذا المدى الزمني...

★★★

[٥٥] لماذا الإطالة؟!

قد يتكلم إنسان كلامًا طويلًا في موضوع لا يستحق مطلقًا أن يتكلم فيه،
أو لا يحتاج هذا القدر الكبير من الكلام...
وربما يكون الأمر بديهيًا، ولا يحتاج إلى شرح. ومع ذلك يظل هذا المتكلم
يشرح، بينما السامع يضغط على نفسه في السماع.
وهذا يدل على أحد أمور ثلاثة:
إما أنه لا يوجد تقييم للموضوعات.
أو أنه لا يوجد تقييم للوقت.
أو أنه لا يوجد اهتمام بمشاعر السامع!
ونفس الوضع نقوله بالنسبة إلى الكتابة أيضًا:
هل الموضوع يستحق كل ما يكتب عنه؟!
★★★

[٥٦] فوضى المنظمين

بعض المنظمين - في الحفلات والأعياد في الكنائس - ترتفع أصواتهم
وتعلو تعليماتهم وانتهاراتهم للناس، حتى يصبحون هم سبب الضجيج في
الكنيسة.

وقد تعجب، إذ ترى الشعب هادئًا جدًّا وصامتًا، بينما هؤلاء المنظمون هم
 الوحيدون المسموعون!

ألا يمكن أن يتم التنظيم في هدوء وصمت؟!

★★★

[٥٧] اذكر... وانسَ

زرتَه في المستشفى، وهو على فراش المرض وقد أصابته جلطة، لأنه لم
 يحتمل أن يفشل في عمل معين له أهميته...

فقلت له: إن أعمالًا عظيمة كثيرة جدًّا قد قمت بها، ونجحت على يديك...
 لماذا إذا تركَّز على هذا العمل الواحد الذي فشل لأسباب خارجة عن إرادتك؟!
 اذكر أعمالك الناجحة ومعونة الله لك فيها...

وانسَ هذا العمل الذي فشل بغير إرادتك.

★★★

[٥٨] الغد أفضل لك

لا تعش في يومك، إن كان يومك متعبًا لك. بل عش في غدك.

في هذا الغد، ترى يد الله تمتد إليك لكي تريحك.

وفي الغد ترى حلولًا كثيرة لمشاكلك.

إن كان اليوم مظلماً، فإن الغد يفتح أمامك طاقات من نور.
 القديسون عاشوا في الغد، في الأبدية، وعلقوا بها كل آمالهم.
 في الغد عاش داود، حينما كان شاول يطارد.
 وفي الغد عاش يونان، وهو في بطن الحوت...
 وفي الغد عاش يوسف وهو سجين. وعاش أبوه يعقوب، وهو هارب من
 عيسو، وكان واثقاً أن الله سيرد غربته...
 إن تعتدت أمامك الأمور، قل إنها ستنحل غداً.
 وابتسم وعش في هذا الغد...

★★★

[٥٩] الأحكام المطلقة

كثير من الأحكام التي تحمل عبارة (كل) أو (جميع) معرضة للخطأ. كأن
 يقول إنسان: "لقد قرأت كل الكتب التي تحدثت عن هذا الموضوع. وكل الآباء
 يقولون كذا...".

وكان من الأفضل أن يقول: "قرأت كثيراً من الكتب"، أو يقول: "غالبية
 الآباء"، أو بعض الآباء أو كثيراً من الآباء، بدلاً من كلمة (جميع)...

★★★

[٦٠] التحليل، لمن؟

حدث ذلك في سنة ١٩٥٨م، وكنت أب اعترف لرهبان الدير. وجاءني أحدهم ليعترف. ولكنه لم يذكر خطية واحدة وقع فيها. وإنما ظل يحكي ويحكي طول الوقت عن أخطاء أحد الآباء نحوه...

وعندما انتهى من حكاياته، وحان وقت صلاة التحليل قلت له باسمًا:
 يمكنك الآن أن تتادي هذا الأب لكي أقرأ له التحليل...!

★★★

[٦١] هل القائد ينقاد؟!

قال لي بعضهم: لم يكن الخطأ هو خطأ ذلك الرجل الكبير، إنما خطأ الذين حوله، الذين ضيعوه بمشوراتهم الرديئة...!
 فقلت له في تعجب: وهل القائد ينقاد؟!

إن الذي في موضع المسؤولية، عمله أن يقود غيره لا أن يقوده الغير! لا مانع أن يستمع إلى كل رأي، ولا مانع من أن يستأنس برأي ذوي الخبرة وذوي المشورة... يفحص ويدقق ويرى ما هو الخير والحق في كل ما يسمع... دون أن ينقاد بكل ما يسمع!

ويتبع الخير والحق وليس كل ما يسمعه من كلام الناس.

وإن كان الرأس ينقاد، فهذه شهادة منه، على أنه لا يصلح أن يكون رأساً.

★★★

[٦٢] حكمة أبيجايل

إن كان لا بد من توبيخ البعض أو توجيهه، فإننا نحتاج في ذلك إلى الروح الذي تكلمت به أبيجايل مع داود...

حيث خلطت التوبيخ غير المباشر بالتقدير والاحترام وبالمديح الواضح الذي فتح قلبه لها (اصم ٢٥: ١٨ - ٣٣).

وكل ما أرادت أن تقوله، قالته، ولكن في تواضع شديد دون أن تجرح شعور داود. هكذا استحققت أن يقول لها: "مُبَارَكَةٌ أَنْتِ، وَمُبَارَكٌ هُوَ عَقْلُكِ..."

[٦٣] كل الخطايا!

كان ذلك في يونيو ١٩٥٩م وقد جاءني في يوم التناول رجل من أولاد البلد، لكي يعترف. فقال لي: باختصار، جميع الخطايا التي في العالم أنا قد ارتكبتها...

فعرفت أنه لا يريد أن يقول شيئاً محدداً...

فسألته: هل قتلت قتيلاً؟ فأجاب لا.

هل نقتب جدار أرملة؟ فأجاب لا.

هل سرقت أموال البنك الأهلي؟ فأجاب لا.

وحينئذ قلت له: ولماذا إذاً يا بني تظلم نفسك وتقول إنك ارتكبت جميع

الخطايا التي في العالم؟!

قل لي إذاً ماذا فعلت بالضبط...

★★★

[٦٤] الألم

الألم أقوى وأعمق من البهجة، وأكثر صدقاً...

وفيه يقف الإنسان أمام حقيقة الحياة، وأمام حقيقة نفسه. ويدرك أن كل

مباهج الدنيا ضئيلة، وتافهة...

★★★

[٦٥] مغفرة، ولا خطأ!!

قالوا لي: جئنا نتوسط إليك لكي تغفر لـ (فلان).

فقلت لهم: وهل أخطأ فلان في شيء، حتى اغفر له؟! إنه يقول لكل أحد

أنه لم يخطئ على الإطلاق...

أتراني أستطيع أن أقول له: الله يحالك عن خطايا لم ترتكبها؟!

★★★

[٦٦] المعرفة العملية

حينما كنت أقف على المنبر كان الهدف هو أن يتعلم الناس.
ولكنني حينما كنت أجلس مع الناس، لأبحث معهم أمور الرعاية، فإنني
أنا الذي كنت أتعلم منهم...

كانوا يضيفون إلى ذهني معلومات جديدة، إذ يشرحون لي الواقع العملي
الذي يعيشونه، والذي يعرفونه أكثر مني. ويقدمون لي مقترحات عملية مفيدة،
انتفع بها في تدبير أمورهم وفي تدبير أمور غيرهم أيضًا. وهكذا تتصلق
أفكاري النظرية، بالواقع الذي يعيشه الناس.
ونخرج من الحوار وقد استفدنا جميعًا:
أنا بالمعلومات التي ذكروها، وهم بالقرار الذي نتفق عليه.

★★★

[٦٧] ملجأ أم معهد حرفي؟

جاءني واحد من أهل الخير، وقال لي إنه يريد أن يقوم بإنشاء ملجأ لرعاية
اليتام... فقلت له: عندي لك فكرة أخرى، وهلمّ نبحث الأمر معًا:
ينشأ اليتيم ويكبر وهو معقد جدًا من كلمة (ملجأ) ومن كلمة (يتيم). ولا
يريد أن أحدًا يعرف أنه تربى في ملجأ...

فلماذا لا ننشئ معاهد حرفية - بدلاً من الملاجئ، يدرس فيها الأيتام مع أطفال آخرين لهم أسراتهم؟ والفرق الوحيد بين النوعين، أن اليتيم يبني بيت في المعهد. وقد يبني معه أيضاً الابن الآخر في حالة سفر أسرته مثلاً...
ونتخلص من كلمة (ملجأ) ومن عبارة (أولاد الملجأ)..
★★★

[٦٨] الإرادة والسماح

سمعت الكثير من الناس يقولون عن كل شيء يتم: هكذا أراد الله! سواء كان هذا الذي تم خيراً أو شراً.

بينما الله لا يريد سوى الخير. أما الشرور التي تحدث على الأرض، فأنها تحدث ضد إرادة الله الخيرة.

الله سمح أن تحدث، بما منحه للإنسان من حرية، وسيدنيه عليها... وهكذا أن الظالم يظلم، والقاتل يقتل، والسارق يسرق. وكل هذه أمور ضد إرادته الصالحة، وسوف يدين المخطئين عليها...

وهناك فرق كبير بين إرادة الله، وسماح الله.

★★★

[٦٩] قال الشيطان لله

قال الشيطان لله: أترك لي الأقوياء فإنني كفيل بهم (أم ٧ : ٢٦). أما الضعفاء، فإذا يشعرون بضعفهم، يطلبون قوتك ويحاربونني بها، فانهزم أمامهم.

★★★

[٧٠] تريح الناس

ليس النجاح الحقيقي في أن تنتصر على الناس. وليست هذه هي الشجاعة ولا القوة...

إنما النجاح الحقيقي هو أن تكسب الناس، تربحهم، لأن رابح النفوس حكيم (أم ١١ : ٣٠).

ربما تنتصر على الناس وتخسرهم! ولا تكون بهذه الخسارة قد نجحت. السيد المسيح كان في ملء القوة على الصليب، وقد ربح كل الناس.

★★★

[٧١] المتابعة

علمتني الخبرات في الحياة أنه لا يكفي مطلقاً إصدار قرارات سليمة عملية بخصوص الرعاية.

وإنما ينبغي المتابعة المستمرة لهذه القرارات ومعرفة مدى تنفيذها... وهل
وقفت عقبات أمام التنفيذ؟ وتقديم الوسيلة لتفادي تلك العقبات...
وبدون المتابعة، تصبح القرارات مجرد ذكرى طيبة، وما أسهل نسيانها
بمرور الوقت...!

★★★

[٧٢] الناس مواقف

ربما إنسان يمجده التاريخ من أجل موقف واحد قد وقفه، في رجولة أو في
بطولة أو في نبل...
أو يذكر له التاريخ كلمة رائعة قد قالها، لم يستطع التاريخ أن ينساها بسبب
عمقها وتأثيرها.
وعكس ذلك شخص آخر، قد يسجل التاريخ اسمه في عار أو فضيحة من
أجل موقف واحد حطم شخصيته!! فنسيت حياته كلها وبقي هذا الموقف
الشائن.

حقًا إن الناس مواقف.

أو أن المواقف تكشف معادن الناس.

وبخاصة المواقف التي لا يمكن أن تُنسى. كم من شخص لم يكن معروفًا
على الإطلاق... ولكن موقفًا واحدًا قد شهره...



٧٣- المخطئ الشاكي

إنسان في الكنيسة يخطئ أخطاء بشعة تنتجها الخطيرة على آخرين وتقشل معه كل طرق النصح وطول الأناة... وأخيراً اضطر إلى معاقبته حتى لا تنتشر أخطاؤه وتضر بغيره. ويحدث ذلك في هدوء دون إعلان مساوئه.

ولكنه لا يسكت على نفسه كما سكتنا عنه ويظل يبكي أمام الناس، ويشكو لكل أحد، ويحدث كل من يصادفه عن ظلم قد وقع عليه دون ذنب قد جناه!

ويأتي إليّ الناس يترجون أو يتساءلون أو يعاتبون وأجد نفسي في حرج. إما أن أصمت، وأقف أمامهم كظالم، فأعثرهم! وإما أن أكشف لهم أخطاء ذلك الشخص، فيساء إلى سمعته، بينما أنا أود أن تظل أخطاؤه غير معروفة. حرصاً عليه.



[٧٤] روح القانون

العدل في القضاء يقضي أن يحكم القاضي بروح القانون، وليس بنصوص القانون مجردة من روحه...

ولهذا كثيرًا ما يلجأ القضاة إلى المذكرة التفسيرية للقانون، أو إلى مضبطة جلسة مجلس الشعب...

وكثيرًا ما نقرأ في كتب القانون عبارة: "ما يقصده المشرع".

لأن المهم هو روح القانون، "الْحَرْفُ يَقْتُلُ وَلَكِنَّ الرُّوحَ يُحْيِي" (٢كو ٣ : ٦).

★★★

[٧٥] قسمة!!

لي صديق وقد اشتركنا في العمل معًا...

فقال لي: هيا نقسم الاختصاصات بيننا:

لي السلطة والإدارة.

ولك المشاكل وحلّها!!

فابتسمت، وتذكرت قصة ذلك الشاعر الإعرابي الذي أراد أن يشترك مع

زميله في صنع فطيرة يأكلانها معًا. فقال له مقسمًا تكاليف صنعها:

منك الدقيق، ومني النار أشعلها

والماء مني، ومنك السمن والعسل

★★★

[٧٦] الله والمشكلة

لا تنتظر إلى المشكلة، وإنما إلى الله الذي يحلها.
 شعورك بأن الله واقف معك في مشاكلك، يمنحك رجاء وقوة.

★★★

[٧٧] البركة والنظام

من الأخطاء الشائعة أن يقول البعض (خليها بالبركة)، ويقصد أن تترك الأمر كيفما اتفق، بلا نظام ولا ترتيب ولا إعداد! كما لو كانت البركة ضد النظام! أو كما لو كان النظام لوناً من الحكمة البشرية يتعارض مع البركة.
 بينما فصل إنجيل البركة، الذي بارك فيه الرب الخمس خبزات والسمكتين واشبع الجموع، هو فصل من الإنجيل عن النظام. إذ قال الرب أَتَكُونُوهُمْ فِرْقًا صُفُوفًا صُفُوفًا: مِئَةً مِئَةً وَخَمْسِينَ خَمْسِينَ (لو ٩ : ١٤) (مر ٦ : ٤٠).
 كما أن التوزيع تمّ بكل نظام: الرب أعطى التلاميذ، والتلاميذ أعطوا للجموع (متى ١٤ : ١٩). ولم يترك البواقي ملقاة على الأرض وإنما "قَالَ لِتَتَلَامِيذِهِ:

«اجْمَعُوا الْكِسْرَ الْفَاضِلَةَ لِكَيْ لَا يَضِيعَ شَيْءٌ» (يو ٦: ١٢). فجمعوا وملأوا
اثنتي عشرة قفة.

إن البركة والنظام يجتمعان معًا. والنظام يساعد على البركة.



[٧٨] نسيان الخير - ١ -

افعل الخير وانسه. لا تطلب عنه أجرًا ولا شكرًا.
ولا تنتظر ممن فعلت معه الخير، أن يكافئك بالمثل، أو يعاملك بنفس
المعاملة.

يقينًا أنك لم تفعل الخير، لأجل أن تتال عنه عوضًا! إنما أنت قد فعلت
الخير لمجرد أنك تحب الخير، ولا تستطيع أن تفعل سوى الخير...
ليكن الخير طبعًا فيك. وليكن شيئًا تلقائيًا لا يحتاج إلى جهد، مثله مثل
التنفس عندك.

إن نسيته، يذكره لك الله، هنا وفي الأبدية.
أما إن ذكرته - ولو في داخلك - فربما تفقده...



٧٩- نسيان الخير - ٢ -

افعل الخير وانسه...

إنه داخل نفسك. فلا تفكر فيه، لئلا تقع في البر الذاتي، وفي الإعجاب بالنفس فتكبر نفسك في عينيك...

انسه أمام الناس. فلا تتحدث عنه لئلا تقع في الافتخار، ولئلا تأخذ أجرك عنه من الناس، وتفقّد بركة "الفضيلة التي في الخفاء"...

وهذا الخير، انسه أيضًا أمام الله. لئلا تفعل كما فعل الفريسي في الهيكل فلم يخرج مبررًا (لو ١٨).

انس الخير الذي تفعله لكي تحفظه مكنوزًا لك في الأبدية. لأنك بتذكرك له تفقده. وقد كانت هذه مشكلة أيوب الصديق، وسبب تجربته (أي ٢٩).

انسى هذا الخير، فيذكره لك الله.

ولكن لا تنسى الخير، الذي يفعله الآخرون.

بل اجعله سببًا يقربهم إلى قلبك، ويقربك إلى قلوبهم. اشكرهم عليه وامتدحهم من أجله...



[٨٠] تورط

كثيرون يدخلون أنفسهم في علاقات تظل تنمو إلى أن يتورطوا ويتعبوا منها...

وتدخلهم هذه العلاقات في سياسات معقدة، وتعرض عليهم أخبارًا تفقدهم بساطتهم ونقاوة قلوبهم، سواء كانت أخبارًا صادقة أو مختلقة. ما أجمل أن يقيم الإنسان حدودًا لكل علاقاته، بحيث لا يتعدها ولا يأكل فيها من "شجرة معرفة الخير والشر".



[٨١] هل للفكر ثمن؟!

ثمن الكتاب هو ثمن الورق والحبر وأجرة الطباعة، وليس هو ثمن الأفكار...

فالأفكار أغلى من أن تُثمن. وهي لا تُشتري ولا تُباع، إنما توهب. هي نور يسري من ذهن إلى ذهن، ومن قلب إلى قلب، ويلقي شعاعه إلى محبيه، وإلى منتقديه أيضًا. لذلك حينما تقرأ على كتاب ثمنه، فلا تتصور مطلقًا أنه ثمن أفكاره. فرب فكرة واحدة فيه تكون أغلى من كل ما يُدفع فيه من ثمن...

حتى الكتاب الذي يبدو وراء ثمنه مكسب: ما هذا المكسب سوى ثمن مصروفات صاحب الكتاب على احتياجاته أو احتياجات غيره... وليس ثمن الأفكار...

والكتاب النافع لا يكون نفعه قاصراً على أفكاره فقط. بل الأفكار التي فيه تلد أفكاراً أخرى في ذهن قارئها، وتلد مشاعر في قلبه.

تُرى هل لهذه الأفكار والمشاعر المولودة ثمن؟!



[٨٢] سياسة التحويل

كثير من الذين لا يحبون أن يتحملوا مسؤولية أعمالهم أو أخطائهم، يحاولون أن يحولوا المسؤولية إلى غيرهم، ليبرروا أنفسهم.

إنها خطية قديمة، منذ أيام آدم وحواء.

أبونا آدم أراد تبرير نفسه بتحويل المسؤولية إلى حواء. وهي بدورها أرادت أن تلقي بالمسؤولية على الحية.

وأي إنسان يخطئ قد يلقي بمسؤولية أخطائه على المجتمع،

أو الكنيسة، أو على والديه أو أصدقائه. المهم أنه يبرر نفسه.

أما أنت، فمن الخير لك أن تتحمل مسئولية عملك، ولا تحولها إلى غيرك،
مهما كان له نصيب فيها. وابحث عن مواضع النقص في نفسك لكي
تصلحها...

واعرف أن أخطاء الآخرين ليست عذراً لك. ولا تشفع فيك في يوم الدين.



[٨٣] التلمذة

يخطئ من يظن أن التلمذة تنتهي في سن معينة أو مرحلة معينة.
إن التلمذة تستمر مدى الحياة، ولا تنتهي حتى بعد أن يصير الإنسان
معلماً، والمعلم القوي في معلوماته هو الذي يستمر في تلمذته، على الأقل يقرأ
باستمرار، لكي ينشط معلوماته، وينميها ويزيدها، ويقدم لتلاميذه باستمرار شيئاً
جديداً.



[٨٤] مدرسة للزواج

كثيراً ما ناديت بإنشاء مثل هذه المدرسة. وما يُعرض علينا في المجلس
الإكليريكي من أمور الخلافات الزوجية، وما يعرض على المحاكم من قضايا
الطلاق وقضايا البطلان، كل هذا يشعُرنا بأن الضرورة ملحة لأن تنشئ

الكنيسة فصولاً لتعليم الحياة الزوجية...

ويكون من مناهجها: ما هو الزواج؟ وأهدافه وشروطه؟ والتأهل للزواج والتوافق فيه. ودراسة فترة الخطوبة وطبيعتها وطرق التعامل أثناءها... وبكيفية التعامل والتعاون في بيت الزوجية. ومعرفة نفسية المرأة ونفسية الرجل. وأسباب الخلافات الزوجية، وطرق حلها. وطريقة تربية الأبناء وكيفية تدبير البيوت والأمور المالية. وطريقة معاملة أقارب كل من الزوجين...

وذلك حتى لا يخاطر أبناؤنا بالدخول في حياة مجهولة يتعثرون فيها.

وإن وجدوا إشكالات، هل يحتملون في صمت أم يتكلمون؟ ومع من...



[٨٥] على الرغم من...

عمل الخير على الرغم من العوائق، يدل على عمق الخير في القلب،

وانتصار الإرادة الخيرة وله أجره الكبير...

ومن أمثلة ذلك:

• الذي يعطي على الرغم من أعوازه، كالأرملة التي أعطت الفلاسين

(مر ١٢: ٤٢)، وكالأرملة التي عالت إيليا النبي وقت المجاعة، وكالفقير الذي

يدفع العشور على الرغم من احتياجه.

- سهل هو الباب الواسع والطريق الرحب. ولكن الذي يدخل، على الرغم من ضيق الباب وكرب الطريق، فهذا هو الذي ينال الطوبى من الرب.
- كذلك الذي يسامح على الرغم من مرارة الإساءات، والذي يغفر على الرغم من السبعة في السبعين (مت ١٨ : ٢٢).
- والذي ينجح على الرغم من صعوبة الامتحان، كما نجح إبراهيم في امتحانه بتقديم ابنه الوحيد، ابن الموعد.
- والذي يثبت في الإيمان، أو يصل إليه على الرغم من المحاربات والشكوك، كاللص الذي آمن بالرب وهو مصلوب إلى جواره ومحاط بالإهانات والتحديات...
- كذلك الذي يحتفظ ب صداقته وإخلاصه وسط الضيق، في الوقت الذي يعثر في كثيرين... كما تبع يوحنا الحبيب معلمه حتى الصليب، وكما فعل يوسف الرامي ونيقوديموس، ولم يخافا من انضمامهما إلى المصلوب. وكما فعل يوليوس الأفهصي في عنايته بأجساد الشهداء...
- إن الفضيلة السهلة قد يقدر عليها الكل. أما الفضيلة المحاطة بالمصاعب والمخاطر، فهي الدليل الحقيقي على البر والقداسة.



[٨٦] يهوذا

يهوذا خان سيده ومعلمه.

ولكن يهوذا موجود في كل جيل.

إنه إنسان معين قرأنا عنه في الإنجيل.

وهو أيضًا رمز...



[٨٧] العاصفة، بمن تعصف؟

العواصف تهب، ولكنها لا تعصف بكل شيء.

قد تهشم الكوخ الضعيف، ولكن لا تنزل الجبل الراسخ.

تهز الشجرة الصغيرة. ولكن لا تؤثر في البلوطة القوية.

مياه النيل في عنفها، جرفت في طريقها كل ما صادفها من الطين وحفرت

فيه مجرى... ولكنها لم تستطع أن تجرف الجنادل الستة، فبقيت ثابتة في

مجرى الأنهار، لا تؤثر فيها الأمواج ولا المياه.

وأنت، اسأل نفسك: ما هو معدنك؟

كن جنديًا ثابتًا، لا تجرفه المياه.

وكن جبلاً راسخًا، لا تهزه العواصف.

وتذكّر ما قيل عن زربابل: "مَنْ أَنْتَ أَيُّهَا الْجَبَلُ الْعَظِيمُ؟ أَمَامَ زَرْبَابِلَ تَصِيرُ سَهْلًا!" (زك ٤ : ٧).

لا تجعل الأخبار تهزك، ولا الأحداث ترعجك. كن أكبر منها. دعها تعبر عليك وتمر. وأنت حيث أنت.

قال الرسول: "كُونُوا رَاسِخِينَ، غَيْرَ مُنَزَّعِينَ، مُكْثَرِينَ فِي عَمَلِ الرَّبِّ كُلِّ حِينٍ..." (١كو ١٥ : ٥٨)، نعم كونوا راسخين.

حياتكم لا تعتمد في سلامها على العوامل الخارجية. إنما تعتمد في سلامها على الإيمان، وعلى جوهر القلب من الداخل.

والقلب القوي بالله، حصن لا يُقهر.



[٨٨] توبة أم محاولة

الذي يقول إنه تاب، ثم يرجع إلى الخطية، ثم يتوب ثم يرجع... هذا لم يتب بعد. ليست هذه توبة، إنما محاولات للتوبة.

أما التائب الحقيقي فهو إنسان قد تغيرت حياته وقد ترك الخطية إلى غير رجعة. مثل توبة أغسطينوس، وموسى الأسود...

قال أحد القديسين: لا أتذكر أن الشياطين أسقطوني في خطية واحدة مرتين.

[٨٩] أربعة أنواع في النفع والضرر

الناس في النفع والضرر على أربعة أنواع:

١ - شخص ينفع غيره، وفي نفس الوقت ينفع نفسه.

وذلك بالحكمة والمحبة والحرص وحسن العلاقات مع الناس.

٢ - شخص ينفع غيره، حتى لو أدى الأمر أن يضر بنفسه.

ويتصف هذا النوع بالتضحية والبذل والشهامة.

وفي الواقع هو لا يضر نفسه، بل ينفعها روحياً. وكما قال الرب: "وَمَنْ

أَصَاغَ نَفْسَهُ... يَجِدْهَا" (متى ١٠ : ٣٩).

٣ - شخص ثالث ينفع نفسه، ولو أضر بغيره.

وهذا النوع الأناني المحب لذاته. وهو لا يصلح للحياة الاجتماعية، ولا

للحياة الروحية.

٤ - شخص رابع يضر نفسه، ويضر غيره.

وهو إنسان سيئ التصرف أو جاهل، عدم وجوده خير من وجوده...

ففي أي الأنواع الأربعة تضع نفسك؟

ليتك تكون نافعا، وتتسع دائرة نفعتك فتشمل الكثيرين.

★ ★ ★

[٩٠] الأحداث

الأحداث تكشف معادن الناس.

إنها نور يُلقى على كل شخص، فتظهر طبيعته على حقيقتها.
ونحن نشكر الله على الأحداث، لأنها تعطينا معرفة أعمق بإخوتنا
وأصدقائنا، وخبرة.

إنها ميزان... إنها برهان... إنها غربال...

ولذلك فإن الشيوخ الذين مرت بهم أحداث كثيرة تكون آراؤهم أكثر صوابًا.
لأنهم يحكمون من خلال الواقع الذي اختبروه، ويعرفون الناس بعمق أكثر.



[٩١] واعظ مشهور

قال لي ذلك الواعظ المشهور:

هل تعرف كم عدد العظاات التي ألقيتها هذا العام؟
فقلت له: بل أريد أن أعرف كم عدد الذين تابوا هذا العام متأثرين بعظاتي،
ورجعوا إلى الله.



[٩٢] الهروب والتحرر

شتان بين الهروب من الخطأ، والتحرر من الخطأ.

قد يحاول إنسان أن يهرب من الخطأ وفي نفس الوقت لا يكون قد تحرر من هذا الخطأ على الرغم من عدم وقوعه فيه.

الهروب من الخطأ شيء خارجي.

والتحرر من الخطأ حالة داخل القلب.

على أن الهروب من الخطأ هو خطوة أولى، ربما تكون للمبتدئين، أما التحرر من الخطأ فهو للكاملين.

وأحياناً يكون الهروب من الخطأ دليلاً على الخوف من الوقوع فيه. وهذا يدل على عدم التحرر من الداخل!

وقد يكون الهروب من الخطأ دليلاً على رفضه له، كما حدث مع يوسف في هروبه من زوجة سيده...

وبعض القديسين يهربون من الخطأ بلون الاتضاع، لكيما يردوا بهذا على شيطان المجد الباطل.

وأحياناً يهربون لكي يفرغوا أنفسهم للعمل الروحي الإيجابي البناء. أما داخلهم فهو متحرر من هذا وغيره.



[٩٣] هل الصمت فضيلة؟

ليس الصمت فضيلة بالمعنى المطلق...

ففي بعض الأحيان ندان على صمتنا...

إنما الأمر يحتاج إلى حكمة نعرف بها متى نتكلم ومتى نصمت؟ وإن
تكلّمنا، كيف يكون الكلام.

والرجل الحكيم لا يصمت حين يجب الكلام ولا يتكلم حين يجب الصمت.

[٩٤] داخل الكنيسة

لست أعجب لمن يجرفه العالم فيهلك... فهذا شيء طبيعي، وأمثلة كثيرة...

وإنما أعجب لمن يهلك وهو داخل الكنيسة، وربما هو خادم!

يهلك عن طريق الكبرياء، وحب السيطرة، والغضب، أو محبة المديح، أو

بسبب الانحراف العقيدي، أو أن يضيعه العناد والتمسك بالرأي ومعاداة

الكل...!

هذا قد دخل إلى الخدمة ودخلت أخطاؤه معه. وبها يهلك ويهلك غيره.

★★★

[٩٥] متى تعرفه؟

أنت لا تعرف الإنسان بمجرد السماع عنه أو حتى التعامل معه...
 إنما تعرف كل شخص على حقيقته، إذا اختلفت معه.
 سواء كان اختلافًا في الرأي، أو تعارضًا في المصالح...

[٩٦] مراحل

نحن في الحياة نعبر مراحل، يجتازها القلب والفكر والحس والروح. كل
 مرحلة لها مفعولها وتأثيرها. ولها مدى زمني لا تتعداه.
 فالجلجثة مرحلة، والقيامة مرحلة، والصعود مرحلة توصل إلى الجلوس عن
 يمين الأب... وهنا الاستقرار.
 والجلجثة - كمرحلة - لا تستمر مدى الحياة.
 إنها تعبر حين نفرح بالقيامة ونقوم بحالة أفضل. ويتحول الصليب إلى
 إكليل ومجد...

وسعيد من ينظر باستمرار وفي رجاء إلى المرحلة المقبلة.
 وسعيد من لا تستقطبه المشكلة. فالمشكلة مجرد مرحلة.
 وحل المشكلة مرحلة أخرى.
 بالإيمان عس في الحل، وافرح ناظرًا إلى ما لا يرى.

الدنيا كلها مرحلة توصل إلى مرحلة أخرى، هي الأبدية...



[٩٧] في غيبة المسجل

البعض يحترس في كلامه ويدقق، حينما يقف أمام جهاز تسجيل (ريكورد)، وذلك لأن الجهاز يسجل عليه كل ما يقوله...

فإذا لم يكن أمامه ريكورد، يتكلم بغير احتراس، وبغير تحفظ. ولا يبالي إذا أخطأ ما دام ليس هناك مسجل ولا رقيب وليست هناك مؤاخظة أو مساءلة. بينما كل كلمة يقولها، محسوبة عليه، هنا وفي السماء.

سواء كانت مسجلة على شريط، أو غير مسجلة. هوذا السيد الرب يقول: "إِنَّ كُلَّ كَلِمَةٍ بَطَّالَةٍ يَتَكَلَّمُ بِهَا النَّاسُ سَوْفَ يُعْطَوْنَ عَنْهَا حِسَابًا يَوْمَ الدِّينِ. لِأَنَّكَ بِكَلَامِكَ تَنْبَرُّرُ وَبِكَلَامِكَ تُدَانُ" (مت ١٢ : ٣٦ ، ٣٧).

ونفس الوضع لمن يدقق فقط أمام آلة التصوير.

إنها أيضًا تسجل عليه ملامحه وأعماله وحركاته ومظهره... وفي غير

وجودها قد لا يبالي بشيء من كل هذا....!



[٩٨] أحاديث متعبة

قال له وهو متضايق جدًا.

- ماذا أفعل لمن يضيع وقتي في سماع شيء أنا أعرفه تمامًا وقد سمعته مرارًا؟! أو من يحاول أن يقنعني بشيء أنا مقتنع به من قبل ومهما أخبرته بأنني مقتنع يصّر على أن يشرح ليقنعني!

وماذا أفعل مع من يحدثني طويلاً، وتكون محصلة كلامه هي لا شيء، ثم يطلب موعدًا آخر لكي يضيف إلى هذا اللاشيء لا شيئًا آخر؟!

- قلت له: لعل هؤلاء يريدون لك فضيلة حسن الاستماع.

- قال: حاللنى. ولكن أعصابي تعبت من ذلك وأرهقت.

- قلت له: الأفضل مع هؤلاء أن تقود أنت الحديث، أو تحاول أن تغير

مجرى الحديث إن بدأوا هم، وتستمر في قيادته...

★★★

[٩٩] المتحدث اللبق

المتحدث اللبق، هو الذي يكلمك فيما تريد أنت أن تسمعه، وليس فيما

يريد هو أن يقوله...

وإن أراد أن يقول لك شيئاً، فإنه يعرضه عليك بطريقة مشوقة، بحيث تريد أن تسمع... حتى إن سكت ولم يكمل، تستحثه أن يسمعك باقي الحديث.
إنه يشبع أذنيك بما تحب، ولا يفرض عليك سماع ما لا يرضيك.
وإن لاحظ على ملامحك ميلاً إلى عدم سماع شيء، لا يطيل، ولا يستمر، بل ينسحب من الموضوع بطريقة لبقة، ليحول حديثه إلى ما يعرف أنه يعجبك...

وفي كلامه يثير لهفتك، ويثير اهتمامك إلى كل ما يقول.
وتشعر باستمرار أن كلامه مريح لأذنيك ولعقلك وقلبك.
لهذا نجد أن المتحدث اللبق يشد انتباه سامعيه إليه، بعكس من يتكلم في موضوعات لا تهم السامعين، ويطيل إلى أن يملوا. ولا تكون لديهم قابلية للإنصات أو لتكملة السماع...!

★ ★ ★

[١٠٠] أسلوب الضجيج!

إنه نوع قابلناه أثناء خدمتنا...
نوع من الناس يظن أنه يصل إلى تنفيذ رغباته في الكنيسة عن طريق الشغب والضجيج، والمطبوعات والمنشورات وإثارة الناس، وكثرة الحديث هنا وهناك، ظاناً أن الكنيسة - لكي تتفادى ضجيجه - تنفذ له ما يريد!

إن جو الكنيسة الروحي، لا تناسبه هذه الأساليب غير الروحية، فهي محاولة لإدخال جو العالم إلى الوسط الكنسي. ولا تستطيع الكنيسة أن تخضع لهذه الأساليب، وإلا يتعوّدها الناس...



[١٠١] سلوك واحد

يجب أن نوفق بين حياتنا داخل الكنيسة وحياتنا خارجها.
بحيث تسيران في خط واحد بلا تناقض.

لأنه لا يصح أن تكون للإنسان شخصيتان: أحدهما لبيت الله، والأخرى للعالم.

الإنسان البار هو هو، لا يلبس لكل مكان وجهًا خاصًا.



[١٠٢] أخطاء:

لم أستطع أن أذهب لأراه قبل موته.

ذلك لأنني كنت أحبه جدًا...

ولم يكن قلبي يحتمل رؤيته وهو يموت.

وقد علمت بعد انتقاله، أنه كان يشتهي أن يراني قبل مفارقتة هذا العالم...

وتألمت في قلبي جدًا، لأنني أخطأت ولم أذهب إلى زيارته.
مفضلًا راحة نفسي على راحته...

★★★

[١٠٣] تعليم الفقير مهنة

غالبية الكنائس والجمعيات الخيرية تعطي معونة شهرية للفقراء. وهذا حسن بالنسبة إلى الفقراء غير القادرين على العمل.
أما بالنسبة للقادرين، فيحسن إيجاد عمل لهم أو تعليمهم مهنة، أو فتح مشروع بسيط لهم. وهكذا لا يحتاجون إلى المعونة المستمرة.
وإن لم يكن ذلك، فعلى الأقل إيجاد عمل لأولادهم وبناتهم...
وتحتاج لجان البر أن تتدرب على معرفة الأعمال المناسبة للفقراء، كل حسب مقدرته وفهمه.

★★★

[١٠٤] مقاييس خاطئة

هل تظن يا أخي أن هيرودس كان أقوى من يوحنا المعمدان، لأنه استطاع أن يقدم رأس يوحنا المعمدان على طبق؟!
كلا بلا شك، لقد كان المقتول أقوى.

وظل هيرودس يخشى المعمدان حتى بعد مقتله. ولما ظهر المسيح، ظن هيرودس أن يوحنا قد قام من الأموات (متى ١٤ : ٢).
 ما أعجب مقاييس الناس: يظنون القوة حيث يوجد الضعف! والنصرة حيث توجد الهزيمة!



[١٠٥] الوسطاء

أحياناً يخطئ شخص، ولا يعتذر عن خطئه، بل لا يعترف بأنه قد أخطأ...
 فإن وقع بسبب الخطأ في مسئولية، يظل صامداً في مكانه، ويتدخل الوسطاء يلتمسون له العفو، بينما يصر هو في كبرياء على أنه لم يخطئ...!

وكلما يخطئ المخطئ، يوجد من يتوسط له ويدافع عنه، تقوى شوكته بهؤلاء المدافعين، ويستمر في الخطأ، يستمر الدفاع، بعد إصلاح للموقف، وبلا تغيير للحالة...! وقد يصل الوضع إلى تسبب، نتيجة لبقاء الخطأ وعدم العقوبة، ودوام الدفاع والتوسط...

وخلال كل ذلك تضيع القيم، ويضيع الانضباط، ويستاء محبو الخير ويحتجون. ويبدو أنه لا بد من تدخل الحزم وفرض عقوبة رادعة.

والعجيب أن الوسطاء المدافعين يبررون موقفهم، بأنهم يعملون بدافع الحب، ورغبة في السلام... وهم في كل ذلك لا يعرفون معنى الحب، على حقيقته. فالدفاع عن الخاطئ يضره روحياً ويضر بالصالح العام، ويضر بالقدوة الحسنة.

محبتك للخطيئ هي إنقاذه من خطئه، ليس من العقوبة.

محبتك له هي في دفعه إلى التوبة، ليس في الدفاع عنه. هي في إقناعه أنه قد أخطأ، ويجب أن يغير مسلكه. فإن لم يفعل وعوقب، فالذين يحبونه يقنعونه بأنه يستحق العقوبة، ولا يحتجون على عقوبته. ولا يجوز أن دفاعهم عنه يحوله إلى العناد، والإصرار على الخطأ، والانتقال من سيء إلى أسوأ... وليضع هؤلاء الوسطاء أمامهم قول الكتاب:

"مُبْرِيُّ الْمَذْنِبِ وَمُذْنِبُ الْبَرِيِّ كِلَاهُمَا مَكْرَهُهُ الرَّبُّ" (أم ١٧ : ١٥).

ونلاحظ هنا بالنسبة إلى المكروهة للرب، وضع مبرئ المذنب أولاً... إن الذي يبرأ المذنب، لا يضع الحق أمامه، والحق هو اسم من أسماء الله (يو ١٤ : ٦) ... ولا يصح أن يدافع إنسان عن المخطئ، أكثر مما يدافع عن الحق.

إن الذي يبرئ المذنب، يشترك معه في ذنبه.

أما القول بأن التوسط هو من أجل السلام في الكنيسة، فلا يجوز أن يُبنى السلام على بقاء الخطأ. السلام الحقيقي لا يكون في الدفاع عن الباطل، وإنما في أن يسود البر لأنه "لَيْسَ سَلَامٌ، قَالَ إِلَهِي، لِلاَّشْرَارِ" (إش ٥٧: ٢١).

ويسألني البعض: هل من الخطأ إذا أن أتوسط؟

وأجيب: أن التوسط ليس خطأ. ولكنه لا يكون على حساب الحق. توسط إذا، دون أن تامل الباطل ودون أن تتجاهل الحق...

★★★

[١٠٦] وضع عكسي

عجبت للراعي الذي بدلاً من أن يساهم في حل مشاكل الناس، يشغل الناس بمشاكله لكي يساهموا في حلها!
 وبدلاً من أن يكون قلباً كبيراً يمنح الكل إشفافاً وحباً، يسعى لأن يكون موضع عطف الناس وإشفاقهم!

[١٠٧] الغد أفضل لك

لا تعش في يومك، إن كان يومك متعباً لك. بل عش في غدك.
 في هذا الغد، ترى يد الله تمتد إليك لكي تريحك.
 وفي الغد ترى حلولاً كثيرة لمشاكلك.

إن كان اليوم مظلماً، فإن الغد يفتح أمامك طاقات من نور. القديسون عاشوا في الغد، في الأبدية، وعلقوا بها كل آمالهم. في الغد عاش داود، حينما كان شاول يطارد. وفي الغد عاش يونان، وهو في بطن الحوت... وفي الغد عاش يوسف وهو سجين. وعاش أبوه يعقوب وهو هارب من عيسو، وكان واثقاً أن الله سيرد غربته... إن تعتدت أمامك الأمور، قل إنها ستتحل غداً. وابتسم وعش في هذا الغد...



[١٠٨] الحق النسبي

الحق بمعناه المطلق، كله خير، وكله صدق. بل الحق هو أيضاً من أسماء الله. ولكن غالبية الناس يعيشون في (الحق) النسبي، نسبة إلى معارفهم وإلى مشاعرهم. وقد يتنازع الحق خصمان أو أكثر كل منهما يقول إن الحق في جانبه. بينما يكون الحق بعيداً عن كليهما، أو يكون في موضع وسط.

وقد يتحمس إنسان ويثور بحجة الدفاع عن الحق. وربما يكون هذا (الحق) عبارة عن معلومات خاطئة في ذهنه، سمعها سماعًا بغير فحص. وليست هي الحق...!



[١٠٩] ألوان من العتاب

العتاب في حدود المعقول، مقبول...

ولكن هناك ألوانا من العتاب تأتي بنتيجة عكسية، وتجعل العلاقات أسوأ...

ومنها:

١- العتاب الذي يكون بقسوة وبشدة، ولا يشعر فيه الطرف الآخر

بالحب...

٢- العتاب الذي يتهم بدون أدلة، ويبدو أنه يظلم بدون وجه حق.

٣- العتاب الذي لا يقبل تفاهمًا، ويصرّ على أسباب غضبه، دون أن يقبل

توضيحًا أو شرحًا أو ردًا.

٤- العتاب الذي لا يقبل تفاهمًا حتى الأعذار والمراضاة، ولا يهدف إلى

صُلح! إنما يهدف إلى أن يفرغ كل ما في قلبه، وما في ذهنه، حتى لو أساء

إلى الآخر بكلماتٍ جارحة.

أسأل نفسك: ما هو هدف من العتاب؟ وما هو أسلوبه فيه؟

وتذكر قول الشاعر:

ودع العتاب فربّ شرٍّ .. كان أوله العتابا.



[١١٠] الكتابة والضمير

الذي يكتب، ينبغي أن يضع في كل ذهنه أثناء الكتابة، ما يترتب على ذلك من نتائج وتأثيرات وردود فعل.

فالكتابة مسئولية أمام الضمير وأمام الله وأمام القراء.

وطوبى لمن يكتب بضميره قبل قلمه.

وطوبى لمن كتابته نُبل لا نِبال.

ولا يجوز أن يكتب أحد وينشر، بغير مبالاة لردود الفعل، لمجرد أن يحقق غرضاً في نفسه...



[١١١] عدوى الأمراض النفسية

الأمراض النفسية يمكن أن تنتقل بالعدوى من شخص لآخر، تماماً مثل

الأمراض الجسدية...

فمعاشرة الشكاكين قد تُدخل الشك إلى النفس. والاستماع إلى كلام الخائفين قد يجلب الخوف.

وهكذا أيضًا القلق، والاضطراب، والظنون، والغيرة، والشهوة... يمكن أن تنتقل بالعبارة والصداقة، وتبادل الحكايات والأخبار. لهذا كان لا بد للإنسان أن يتخير أصدقاءه... وليست الأمراض النفسية فقط هي التي تنتقل بالعدوى، بل الأمراض الروحية أيضًا...



[١١٢] حدود التساهل والتسامح

يمكنك أن تتساهل وتتسامح في حقوقك الخاصة. ولكنك لا تستطيع أن تتسامح في حقوق الغير، أو في حقوق الكنيسة، أو في حق عام، أو في حق الله.

حقك الخاص هو ملك لك.

أما الحق العام فليس لك. لا تملك التفريط فيه. انه وديعة أو أمانة، تحافظ عليها.

أقول هذا بوجه خاص لكل من هو في مسئولية، أو لكل من استؤمن على وكالة (١كو ٩ : ١٧).

[١١٣] أهمية الاستمرار

قيمة العمل في استمراره...

فقد تعمل عملاً، يحدث دويًا لأيام أو لأسابيع. ثم ينتهي وكأن لم يكن...
وقد تعمل عملاً يكون له أثره في حياتك. ثم ينتهي بانتهاء هذه الحياة... ليس
هذا هو العمل القوي العميق...

العمل القوي هو الذي يستمر، حتى بعد حياتك...

يستمر في الأبدية، يذكره لك الله...

ويستمر على الأرض، يذكره لك الناس...

وسنضرب بعض الأمثلة للعمل المستمر:

المحبة القوية هي التي تستمر... أما الذي تهزها الأحداث، وتنتهي بأي
خلاف فليست محبة حقيقية...

التدريب الروحي القوي هو الذي يستمر. أما أن تضغط على نفسك أيامًا أو
أسابيع ثم ترجع كما كنت، فليست هناك القوة ولست تنتفع شيئاً...

كذلك التوبة المؤقتة، ليست حقيقية. والإصلاح المؤقت ليس إصلاحًا
ثابتاً... المهم أن تستمر التوبة ويستمر الإصلاح.

وهكذا أيضًا المبادئ الثابتة هي التي تستمر. أما التي تُمارس ثم تختفي،
فإن جذورها لا تثبت في النفس...

سهل على أي إنسان أن يفعل الخير في فترة ما! إنما الإنسان الخير
بالحقيقة، فهو الذي يثبت في عمل الخير.
البدء في أي عمل أمر سهل. إنما المهم أن نكمل.



[١١٤] اللحم بالأوكسجين

كان ذلك منذ حوالي الأربعين عامًا قبل أن أذهب لأترهب.
وكنت سائرًا في الطريق، فرأيت عاملًا يقوم بعملية لحام بالأوكسجين لقطعة
معدنية. وكانت هذه القطعة مستسلمة لناره المتوهجة إلى أن تم لحامها...
فقلت لنفسي، لماذا نتألم نحن ونحتج ونشكو، حينما يستخدم معنا الله
طريقة اللحم بالأوكسجين.



[١١٥] عربة وعربة

كنت سائرًا أيضًا في الطريق، فرأيت عربة كارو، وعربة مرسيدس فخمة.
وكان الناس يتعجبون كيف تسير هذه إلى جوار تلك!
أما أنا فقلت كلاهما لازمتان. فما تستطيعه الكارو من حمل الجوالات
والأثاثات، لا تستطيعه عربة المرسيدس. إن المجتمع يحتاج إلى كليهما. وكل

منهما نافعة وناجحة في حدود إمكانياتها واختصاصاتها... كأعضاء جسم
الإنسان...



[١١٦] موهبة التفكير

أكبر مشروع أوله فكرة...
لذلك من المهم أن يوجد أشخاص لهم موهبة التفكير. ولهم أيضًا متسع من
الوقت للتفكير، وجو هادئ يفكرون فيه.
فإن لم تكن لك موهبة التفكير، اعتمد على خبراء أذكاء، يفكرون...



[١١٧] أتعبهم (تدينهم)!

طبعًا التدين لا يتعب إلا إذا كان تدينًا خاطئًا.
والذي اتعب أولئك، هو التمسك بالفضيلة الواحدة.
وعدم الحكمة في ممارسة هذه الفضيلة.
إنسان يسلك مثلًا في التواضع أو الوداعة بغير حكمة، ويجد نفسه قد تعب
من اعتداءات الناس واستهزائهم وعدم احترامهم له؟ فيأتي ويشكو.

أو إنسان يسلك في العطاء بغير حكمة، حتى يجد نفسه محاطاً بمجموعة من المحتالين والأدعياء يضغطون على ضميره ضغطاً متوالياً بغير هوادة، فيتعب!

أو إنسان يسلك في التسامح بغير حكمة، حتى يفقد السيطرة على مرؤوسيه في العمل، الذي يسوده جو من التسبب والإهمال واللامبالاة، فيتعب من كل ذلك، ويشكو...

والواقع أن المسيحية تدعو إلى الشخصية المتكاملة التي تتكامل فيها الفضائل معاً، حتى التي تبدو بينها تضاد.

ففيها العفو وفيها العقوبة أيضاً. والله قد عاقب...

فيها الطيبة وأيضاً الحزم. فيها الوداعة وأيضاً الشجاعة.

فيها الكلمة الرقيقة، وأيضاً التوبيخ إذا لزم الأمر.

وكما قال الكتاب: "لِكُلِّ شَيْءٍ زَمَانٌ، وَلِكُلِّ أَمْرٍ تَحْتَ السَّمَاوَاتِ وَقْتُ"

(جا ٣: ١-٨).

وعموماً كل فضيلة، ينبغي أن ترتبط بالحكمة والإفراز.

وأولئك المتدينون لم يتعبهم التدين، وإنما الممارسة الخاطئة أو الفهم

الخاطئ للتدين. لأنهم سلكوا بغير حكمة في تدينهم...

★ ★ ★

[١١٨] في يوم واحد!

لاحظت وأنا سائر في طريق الحياة: أن شخصًا كبيرًا، قد يبني تاريخه واسمه وشهرته في أربعين سنة. ثم يهدم هذا كله في يوم واحد وربما في ساعة واحدة، أو بعمل واحد...! إنها حقًا مأساة...



[١١٩] التعليم والتسليم

ليست التلمذة مجرد كلام يسمعه تلميذ من معلم...
إنما التلمذة هي روح يمتصها طالب العلم، وحياة تنتقل من شخص إلى آخر. إنها إذا "رُوحٌ وَحَيَاةٌ" (يو ٦: ٦٣).

إنها ليست فقط عن طريق التعليم، إنما هي بالأكثر عن طريق التسليم. والمعلم الحقيقي هو الشخص الذي يستطيع أن يقدم الصورة الإلهية للناس... يقدم لهم الحياة الروحية مطبقة عمليًا فيتعلمون من الحياة أكثر مما يتعلمون من الكلام.

المعلم الحقيقي هو أيقونة جميلة في الكنيسة. هو صورة الله أمامهم. الأطفال في الكنيسة، كيف يتعلمون؟ وكيف يتعلم العوام وقليلو المعرفة؟ وكل الذين لا يدركون عمق ما في الكتب والقراءات والعظات؟

إنهم يتعلمون من الصورة الحية. يمتصون الحياة الروحية ويتقبلون مثالياتها
في المثال الموضوع أمامهم...

وحتى الذين يفهمون الكتب والعظات، لا يدركون أعماقها إلا بمثال عملي.
وأنت ماذا تترك تقدم للناس؟ كلاماً أم حياة؟



[١٢٠] انضمام على الورق

كثيراً ما يطلب شخص من مذهب مسيحي آخر يد ابنة أرثوذكسية من
بنات كنيستنا. وإذ تصرّ الكنيسة على أن تتم الخطبة بين أرثوذكسي
وأرثوذكسية يقدم هذا الخطيب طلب انضمام إلى الكنيسة.

وينضم انضماماً شكلياً بحثاً، لا عن عقيدة، ولا عن إيمان.

ولا تقدم له الكنيسة تعليماً، ولا تختبر إيمانه، ولا تجري له أي طقس ولا أي
سر من أسرار الكنيسة! ويكون انضمامه إلى الأرثوذكسية هو مجرد انضماماً
على الورق!

ويفرح بعض الآباء الكهنة بهذه الشكليات...! ثم تحدث المشاكل بعد
الزواج. وقد يستمر الزوج متمسكاً بعقائد مذهبه واجتماعاته... ومن ثمرة هذا
الزواج يخرج أبناء مزعزون في إيمانهم أو منحرفون عنه...



[١٢١] الأقارب والعشور

كثيرون كانوا يسألونني: هل يجوز أن ندفع من عشورنا لأقاربنا بالجسد؟
وكنت أجيبهم:

يجوز أن ندفع للأقارب من العشور إن كانوا محتاجين ولكن لا ندفع لهم
كل العشور.

تدفع لهم، لأن الكتاب يقول: "وَإِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْتَنِي بِخَاصَّتِهِ، وَلَا سِيَّمَا
أَهْلُ بَيْتِهِ، فَقَدْ أَنْكَرَ الْإِيمَانَ، وَهُوَ شَرٌّ مِنْ غَيْرِ الْمُؤْمِنِ" (١ تي ٥: ٨). وأقول:
"إن كانوا محتاجين"، لئلا يكون الصرف على الترفيه أو الكماليات.

ولكن لا تدفع لهم كل العشور لسببين:

١- لئلا تكون رابطة الدم فقط هي التي تدفعك، وليس الحب للمحتاجين.

والمفروض أن تساعد باقي المحتاجين أيضًا، ومن غير أقبائك، كما
تساهم أيضًا من جهة احتياجات الكنيسة.

٢- لئلا تهرب من العشور تحت ستار الوفاء بواجبات اجتماعية أنت
مضطّر للقيام بها... مع ملاحظة أنك في المسيحية، لست مطالبًا بالعشور
فقط...

★ ★ ★

[١٢٢] عابد يخطئ!

العبد الذي يعبد غيره من الناس، ويتبعه ويؤيده في الحق والباطل، يفقد الموضوعية، ولا يبقى أمامه سوى الشخص منزهاً عن كل خطأ!!
وفي هذا المسلك تتميز تصرفاته بخطأين، هما:
١- يدافع عن موضوعات لم يدرسها، ولا بد أن يدافع عنها لأنها تخصّ معلمه أو سيده!

٢- يهاجم بغير معرفة، دفاعاً عن سيده!

★ ★ ★

[١٢٣] لا يستفيد!

هناك من يستفيد من العقوبة، إذ تقوده إلى التوبة والندم وتصحيح مسيرته..
وهناك من لا يستفيد.

وقد صادفتنا أمثلة من الذين عوقبوا، ولم يستفيدوا..

بل على العكس، زادت أخطأؤهم وتعمقت..!

البعض لجأ إلى التذمر والشكوى وإثارة الناس. والبعض في سبيل تبرير ذاته، لجأ إلى الأكاذيب والادعاء بأنه مظلوم. والبعض لجأ في دفاعه إلى

الهجوم المضاد بإشاعة المذمة والاتهامات الباطلة. والبعض أثارت فيه العقوبة
 مشاعر من الكراهية ومن العناد. والعجيب أن البعض لجأ للتهديد....!
 كل أولئك لم يستفيدوا من العقوبة، لأنه كان ينقصهم الاتضاع وكان
 ينقصهم الحرص على خلاص النفس.
 وهكذا انصرفوا من هوة إلى أخرى...

وقليل منهم رجعوا بعد فترة يطلبون الصفح. ليس لأنهم تابوا، إنما لأنهم
 وجدوا أن كل تلك الأساليب لم توصلهم إلى نتيجة....!
 ★ ★ ★

[١٢٤] هل أعاتبه؟

أساء إليه أحد إخوته الرهبان إساءة بالغة. فقال لي: "هل أذهب لأعاتبه؟".
 فقلت له: إن كان ضميره حيًا، سيأتي من تلقاء نفسه ليعتذر لك. وإلا فلا
 فائدة من العتاب، ربما ينتهي إلى أسوأ.
 إلا إذا كان يجهل عمق ما فعله! وفي هذه الحالة يحسن أن يتدخل طرف
 ثالث فيما بينكما ليشرح له عمق إساءته.
 وعلى أي الحالات، من الأفضل أن تنتظر... وليتك تنساه، وتنسى إساءته.
 ★ ★ ★

[١٢٥] يد الله

في كل ما يمر بنا من أحداث، وفي كل تفاصيل حياتنا - كأفراد وجماعات - لا نستطيع أن ننسى يد الله في كل هذه الأحداث، وفي حياة كل فرد...
إن الله - بعد أن خلق العالم - لم يترك الكون يسير كيفما اتفق، أو أن يديره الناس حسبما يشاءون، دون تدخل من العناية الإلهية، أو دون تدخل من التدبير الإلهي!!

الله هو ضابط الكل. والحرية التي منحها للناس ليست حرية مطلقة. إنما هي حرية يسيطر عليها التدبير الإلهي. وعين الله لا تنعس ولا تنام، بل تراقب كل شيء، وتسجل وتحاسب... ويد الله الداخلة في الأحداث تجعلنا نطمئن لتدخله وتدبيره.

حتى إن بدا الله صامتاً في بعض الأحيان، وحدثت أخطاء فهو يتدخل فيما بعد، ويصلح، ويحول الشر إلى خير...
وما الصلاة سوى دعوة ليد الله أن تتدخل.
وما الإيمان هنا، سوى الثقة بتدخل يد الله.
مباركة يد الله. إنها مملوءة حباً...

★★★

[١٢٦] السبت والأحد

من قَدَم السبت، وجد الأحد.

ومن لا يقدم السبت، لا يجد أحدًا..



[١٢٧] محاط بالأتباع فقط!

كان لا يحيط نفسه إلا بالأتباع والمريدين، الذين يوافقونه على كل شيء،
ويدافعون عن كل تصرف له مهما كان خاطئًا.. وكان يسعد بمدحهم
ودفاعهم...

ولم يشأ مطلقًا أن يحيط نفسه بمن هم في مستواه أو من هم أعلى منه. لأن
كثرة مدح أتباعه، صوّرت له أنه يوجد أحد في مستواه. ومستحيل أن يوجد
من هو أعلى منه..!

وهكذا فقد الصداقة، وفقد النصيح المخلص، وفقد تواضع القلب والفكر.
وكثرت أخطاؤه التي يراها الذين هم خارج دائرته. بينما يدافع عنها الأتباع،
فتستمر وتزيد....!



[١٢٨] الحب الحقيقي

البعض يظن أن حبه لشخص، معناه أن يحميه ويدافع عنه مهما أخطأ...!
أما الحب الحقيقي هو أن ينقذه من أخطائه، ولو بتوبيخه عليها حتى يتركها...



[١٢٩] التوقيت السليم

عامل التوقيت السليم، عامل هام جدًّا، في كل عمل، وفي كل مشروع
ناجح، وفي كل كلمة تقال، وفي كل طلب يُقدَّم...

ولذلك في كل عمل تقوم به، لا تسأل فقط "هل هذا العمل خير ونافع؟"،
إنما اسأل أيضًا: "هل توقيته سليم؟".

ذلك لأنه إن لم يكن التوقيت سليمًا، لا يمكن أن ينجح العمل. تمامًا
كالنبات إن لم يزرع في أوانه، لا يمكن أن ينجح مهما كانت بذاره جيدة،
ومهما كان الزارع خبيرًا.

وقد يحتاج التوقيت إلى صبر، والحكيم يصبر... إلى أن يعمل العمل
الصالح في حينه الحسن.



[١٣٠] يشكو ويريد

أحيانًا يشكو إنسان من سماع شيء، ويكون هو الذي سعى إلى هذا السماع، أو على الأقل شجع عليه.

★★★

[١٣١] مغنيان للصليب

بعض الناس يحبون الصليب، في بركته، وفي قوته، وفي عقيدته الإيمانية... ولكنهم لا يحبون الصليب في حياتهم، أي لا يحبون حمل الصليب!

الصليب خارجهم، وليس داخلهم!

يحبون الجليئة في فدائها، ويتعدون عنها في آلامها!

★★★

[١٣٢] العنف

يلجأ البعض إلى العنف لحل مشاكلهم، أو لتنفيذ رغباتهم أو أفكارهم... ولكن هناك طرقًا أخرى أكثر صلاحية من العنف، غير أنها تحتاج إلى أعصاب هادئة، وإلى عقل يفكر بسرعة أكثر من انفعال النفس...

كما تحتاج إلى قلب متيقظ، يضع وصايا الله أمامه في كل مشكلة... فيرى أن العنف هو آخر الوسائل، أو هو لا يصلح لأن يكون وسيلة على الإطلاق. والبعض قد يرى أن كلمة العنف منفرة، فيضع للعنف اسماً آخر هو: الحزم، أو القوة، أو الجرأة، أو الدفاع عن الحق، أو... إلخ. ولكن كلمة (عنف) هي أصدق تسمية للعنف.



[١٣٣] معنى البساطة

كثيرون يطلقون اسم البساطة على السذاجة وضحالة التفكير. ويرون أن البسطاء هم الناس السذج الذين لا يفهمون شيئاً، أو الذين لا عمق لهم في التفكير ولا في التدبير.

ولكن هذا التفكير غير سليم فالبساطة في المسيحية هي بساطة حكيمة، ولا فصل بين البساطة والحكمة. فالسيد الرب يقول: "كونوا بسطاء... وحكماء..." (مت ١٠: ١٦).

ليست البساطة إذاً عكس الحكمة.

إنما البساطة هي عكس التعقيد.

البساطة المسيحية بساطة حكيمة، والحكمة المسيحية بسيطة، أي لا تعقيد فيها. وقد يكون الإنسان في منتهى الذكاء، ومع ذلك فهو بسيط، أي لا يعقد الأمور.



[١٣٤] طفل...!

حضر عندي مع أمه وبعض أفراد الأسرة. وقدمته أمه إليّ، وقالت له: أسمع سيدنا أبانا الذي. قل له قدوس. قل له ترتيلة تحفظها...
أما الطفل فنظر إليّ وقال: "شاييف القميص الجديد الحلو بتاعي؟...". قالها في بساطة وفرح، وكأنه لم يسمع كل ما قالت له أمه...
وتعلمت من هذا الطفل درسًا في معاملة الأطفال.
كلما يأتيني طفل، لا أبدأ معه بتسميع محفوظاته... وإنما امتدح أولاً ما يمكن امتداحه من شكله وملابسه، وما عليها من رسوم ونقوش، أو ألوان. وبعد أن أجعله يفرح بملاحظتي لكل هذه الأمور التي تقرحه... حينئذ ندخل في المنهج الديني برفق شديد...



[١٣٥] خادمان

كانا خادمين، سلك كل منهما طريقاً اقتنع به، عكس طريق زميله الآخر:
أحدهما قال: لا بد أن أخدم من داخل الكنيسة، لكي أنال بركتها، ولكي تكون
لخدمتي شرعيتها...

أما الثاني، فقال: أخدم من خارج الكنيسة لكي أعطي لنفسي حرية الحركة،
ولا أكون تحت سلطان من أحد.

ونجح الأول إلى أبعد الحدود وقدمت له الكنيسة كل إمكانياتها وإمكانياتها.
وبقى الثاني حيث هو، قطاعاً خاصاً بعيداً عن الكنيسة ولم تنفعه حرية
الحركة، إذ لم يجد حركة خارج الكنيسة...



[١٣٦] تجميع الخبرات

لو أمكننا أن نجمع خبرات كل الآباء الكهنة، وبخاصة الشيوخ منهم،
والروحانيين الناجحين في عملهم الكهنوتي... لأمكننا أن تكون لنا ذخيرة في
عمل الرعاية...

ونفس الوضع بالنسبة إلى الآباء الأساقفة...

يا ليت مجموعة تتخصص في عملية التجميع هذه، ويا ليت الآباء يرسلون
إلينا الأفكار الرعوية التي نجحت في حياتهم، والعقبات التي صادفتهم، وكيف
انتصروا عليها وأمثلة من تدخل الله في الخدمة وتديره لها...

نقول هذا لأن آباء كثيرون فارقوا عالمنا هذا، ودُفنت معهم خبرات كثيرة
خسرناها، وما كان أئمنها لو أنها بقيت...

بدء المشروع هو تحديد أسماء الآباء...

ثم الاتصال بهم وتسجيل خبراتهم...

★ ★ ★

[١٣٧] الكل ... وواحد

حدث ذلك منذ حوالي عشرين سنة. وكنا مجموعة كبيرة تعيش معًا في
محبة ولكنه انفصل عنا، وأخذ يعادي الكل، ويتحدى الكل، ويوقع بالكل. وكان
كل معتمده أنه كَوْن صداقة مع الرئيس. ماذا يهمه إذاً أعضاء المجموعة ما
دام هناك من يسنده، حتى لو خسر صداقات الجميع؟
ثم ارتكب بعد ذلك خطأ جسيمًا، وتخلّى عنه الرئيس، الوحيد الذي كانت
تربطه به علاقة...

ووجد نفسه وحيدًا ضائعًا لا يثق به أحد...

إنها خطورة خسارة الكل، اعتمادًا على واحد... يمكن خسارته فيما بعد!!



[١٣٨] القانون: متى؟

يلجأ الناس إلى القانون، حينما تفشل المحبة بينهم ويفشل التراضي.
وكثير من الأمور التي يعجز القانون على حلها، تحلها المحبة والعلاقات
الشخصية والتفاهم الودي. وكما يقول المثل:
إذا تفاهم الخصمان، استراح القاضي.
لذلك عليك أن تفكر كثيرًا قبل أن تلجأ إلى القانون...
واسأل نفسك: إلى أي مدى يمكن أن يُحل هذا الموضوع بالمحبة، بدلًا من
اللجوء إلى القانون...؟



[١٣٩] نملة

حدث ذلك سنة ١٩٦٠م وكنت جالسًا على باب مغارتي في (البحر
الفارغ). ورأيت نملة تصعد على كومة من الرمل وإذا بالرمل ينهار من تحتها،
فتسقط...

وحالما تسقط لا تترد لحظة واحدة، وإنما تقوم فتصعد مرة أخرى، وينهار الرمل تحتها، فتقوم بسرعة، دون أن يدفعها الفشل إلى اليأس. وتكرر ذلك أمامي مرات عديدة جدًا حتى صعدت أخيرًا...

وتعجبت كثيرًا من هذه النملة، وأخذت درسًا. وقلت لنفسني: إنني لم أصل بعد إلى مستوى هذه النملة المثابرة والعزيمة التي لا تعترف إطلاقًا بالفشل.



[١٤٠] اثنان، واثنان

عجبت لمن له ميزانان: أحدهما يزن به أعمال الناس. والآخر يزن به أعماله هو، وربما أعمال أصحابه أيضًا.

والميزانان مختلفان تمامًا... بحيث يكون العمل الواحد في أحد الميزانين خطأ، ويكون في الآخر صواب!!

وعجبت أيضًا لمن تكون له عقيدتان مختلفتان:

أحدهما يعلنها، والثانية يخفيها، أو هو يذكرها فقط لخاصته وكاتمي سره، أو حيث لا توجد مسئولية!



[١٤١] أمانة النقل

إذا نقلت عن مؤلف معين أو كاتب أو قديس، فأنقل رأيه كما هو كاملاً بكل أمانة.

لا تقم بإخفاء أقواله التي لا تروقك، مقتبساً من أقواله فقط ما تظنه في صالحك، وتقدمه كما لو كان هو كل رأيه!!
فإن هذا لا يوافق أمانة النقل...

كذلك إن نقلت عن الكتاب المقدس نفسه، خذ كل الآيات التي تتعلق بالموضوع. ولا تورد آية وتخفي آية أو آيات أخرى. وإلا فأنت تقدم مفهومك الخاص، وليس تعليم الكتاب. ولا تكون لك أمانة النقل.



[١٤٢] الكاهن والشعب

كنت دائماً أقول في أمور الرعاية:

إن الكاهن من أجل الشعب.

وليس الشعب من أجل الكاهن.

مثلاً نقول: إن الراعي قد جُعل لأجل الخراف. وليست الخراف من أجل الراعي. ولهذا يقال عن الكاهن إنه خادم: خادم للشعب وخادم للأسرار من أجل الشعب.

ولولا الشعب ما كنا نقوم بسيامة كاهن.

★ ★ ★

[١٤٣] المشاكل والبكاء

جاءني يبكي بسبب مشكلة حلت به. فقلت له: أهدأ ودعنا نفكر ونصلي. فالمشاكل لا تُحل بالبكاء، وإنما بالحلول العملية التي يمكن تنفيذها.

أما البكاء فقد يشل العقل، ولا يعطيه فرصة للتفكير...

★ ★ ★

[١٤٤] اعتذار!

أحياناً يعتذر إنسان عن أخطاء قد ارتكبها. ويظن أن الأمر قد انتهى. ولكن اعتذاره لا يكون مقبولاً...

وذلك لأنه يعتذر بأسلوب، يكون فيه حجم الاعتذار أصغر بكثير جداً من حجم الخطأ.

وهذا الاعتذار البسيط الشكلي لا يُرضي قلب المُساء إليه، ولا يستطيع أن يغطي الأخطاء السابقة.
وأيضًا مجرد الاعتذار لا يكفي.
ينبغي معه معالجة نتائج الخطأ...



[١٤٥] متى؟! ومتى؟!

لاحظت وأنا سائر في طريق الحياة، أن الناس لا يتكلمون في الغالب عن القيم والمثل، إلا في مناسبات تريحهم هم...!
فمثلًا متى يتكلم الناس عن العدل؟
يتكلمون عن العدل حينما يكونون مظلومين.
ويندر أن يتكلم إنسان عن أهمية العدل، حينما يكون ظالمًا! لأن الحديث عنه وقتذاك يتعب ضميره.
ومتى يتكلم الناس عن الرحمة؟ يتكلمون عنها حينما يكونون مسحوقين من غيرهم.

ويندر أن يتكلم إنسان عن الرحمة وهو في مركز السلطة!
إنما الرجل النبيل، فهو الذي يتذكر العدل والرحمة، لا حينما يكون محتاجًا إليها، إنما حينما يكون غيره محتاجًا إلى ذلك... ولو منه.

إن الدهر دوّار ولا يثبت على حال. وقد ينعكس الوضع، فيصير القوى
ضعيفاً ويصير القاسي المحطم لغيره مسحوقاً من الغير. وحينئذ يذكر
ماضيه...

نبيل وحكيم هو الإنسان الذي يقرض غده من واقع يومه. ويعمل اليوم
خيرًا فينتظره هذا الخير في غده.



[١٤٦] منبر الكنيسة

منبر الكنيسة له رسالة واحدة هي خدمة الكلمة:

كلمة الإيمان، كلمة الروح، كلمة المحبة، كلمة العزاء، كلمة المصالحة بين
الله والناس... أو قل كلمة الله إلى الناس...

ولا يجوز استخدام منبر الكنيسة في أي غرض آخر.

ليس هو مجالاً لأي غرض شخصي، ولا لأي تعليم خاص، ولا للدعاية،
ولا للدفاع عن النفس، ولا للتشهير بالآخرين أو انتقادهم، ولا للحديث عن
النفس.

إن الناس يحضرون إلى الكنيسة لكي يسمعوا كلمة روحية لبناء أنفسهم.
فإن رأوا خروجاً عن هذا الخط الروحي، يعثرون في الكنيسة وخدامها.

لذلك يجب على الوعاظ وكل رتب الكهنوت، الالتزام برسالة منبر الكنيسة
وعدم الخروج عن هدفها الروحي وأسلوبها الروحي.



[١٤٧] استعمال مرة واحدة

هناك أشياء يستعملها الإنسان مرة واحدة، ثم يمكنه الاستغناء عنها. فماذا
يمنع من إعطائها للآخرين لكي ينتفعوا بها، دون أن يخسر شيئاً...
مثال ذلك بعض الكتب الدراسية التي يستخدمها الطالب لعام واحد...
وهذه يمكن تسليمها بعد النجاح إلى مكتب الخدمة الاجتماعية بالكنيسة،
لتوزيعها على الطلبة المحتاجين.
ومثال ذلك أيضاً فستان الزفاف.

إن العروس تستخدمه مرة في يوم زفافها فقط وتأخذ به صورة تذكارية. ثم
لا تعود تلبسه بعد ذلك مطلقاً. فماذا يمنع من تسليمه لمكتب الخدمة
الاجتماعية، لتلبسه عرائس كثيرات، ربما لا يقدرن على شراء فستان جديد؟
وبالمثل ملابس الأطفال الذين يكبرون وليس لهم أخوة أصغر منهم...
ما أكثر الأشياء التي نملكها ولا نستخدمها، بينما يكون غيرنا في ميس
الحاجة إليها...!

إن تركناها عندنا، ألا تدخل في "مال الظلم"؟!

[١٤٨] قرارات انفعالية

القرارات الانفعالية في الحياة الروحية، وما أسهل الرجوع عنها.
وبالمثل التعهدات والنذور التي تصدر عفواً، دون أن يفكر قائلها في مدى
إمكانية التنفيذ.



[١٤٩] اليوم والغد

هناك أمور لا يستطيع اليوم أن يحكم عليها، وإنما يحكم عليها الغد. فالיום
قد يكون مقيداً بتأثيرات وانفعالات واعتبارات متعددة. بينما قد يكون الغد طليقاً
من كل هذا، يذكر الحق كما هو...

لذلك فالتاريخ عموماً لا يكتب في زمنه.

إنما يكتبونه غالباً بعد حين، حينما يحاول العلماء أن يجردوه من تأثير
الزمان والمكان. ويبحثون عن معلوماته من شتى المصادر على اختلاف
اتجاهاتها. وكل ذلك من عمل الغد...

سعيد هو الإنسان الذي يكون الغد شاهداً له لا عليه.

ويحتفظ له الغد بذكرى طيبة، يُجمع عليها الكل، مجردين من كل تأثيرات
المكان والزمان والظروف.

وسعيد هو الإنسان الذي يعمل لغده من الآن.

لا من أجل مجرد سمعته في نظر الناس، إنما بالأكثر من أجل حكم

الضمير وحكم الله.



[١٥٠] القبلية

كما كان أهل القبيلة يفتخرون بقبيلتهم، ولا يعرفون الانتماء العام إلى وطن

يضم كل القبائل، هكذا البعض في الكنيسة أيضاً، يقعون في نفس الخطأ:

كنيستنا، جمعيتنا، فرع التربية الكنسية الذي نخدمه، بلدنا...

إنه انتماء في مجال ضيق جداً...

أما طقس الكنيسة، فيعلمنا في قداساتها أن نصلي من أجل "هذه الكائنة

من أقاصي المسكونة إلى أقصائها".



[١٥١] شكل هرمي

كنت دائماً أعزي الذين يعانون من مشاكل متعبة، وأقول لهم:

إن المشاكل دائماً لها شكل هرمي.

ترتفع حتى تصل إلى قمته، ثم تنحدر إلى الوجه الآخر.

ولا توجد مشكلة تظل تتصاعد إلى ما لا نهاية. حتى تجربة أيوب الصديق نفسه، وصلت إلى قمتها ثم انتهت. وكذلك تجربة يوسف الصديق...
كلها مشاكل محدودة بوقت، وتنتهي بعده...



[١٥٢] بعد الضياع

كثيرون لا يشعرون بقيمة الشيء إلا بعد ضياعه!
المرأة تصطدم بزوجها، تختلف معه. ولا تشعر بقيمة الزواج إلا بعد فقده:
إما فقد بالانفصال، أو فقده عاطفياً...
والتلميذ لا يشعر بقيمة الوقت وأهميته لمستقبله، إلا في آخر العام، بعد فقده. والصديق لا يخلص لصديقه فيفقده. ولا يشعر بقيمته إلا بعد فقده.
والابن يهمل في إكرام والديه، يسيء في معاملتهما. ولا يشعر بقيمتهما إلا بعد فقدتهما: إما بالموت، أو بفقد رضاها وبركتها...
والإنسان عموماً قد لا يشعر بقيمة العمر وأهمية الأبدية إلا بعد فقد الحياة وفقد الأبدية معهما...
إن يهوذا الخائن لم يشعر بقيمة المسيح إلا بعد أن فقده، وفقد الأمل أيضاً، فمضى وخنق نفسه...

ما أجمل أن يصحو الإنسان إلى نفسه، ويدرك قيمة ما عنده، قبل أن يفقده. وبخاصة الشيء الذي تقده، ولا تستطيع أن تسترجعه بعد!!



[١٥٣] البذرة والثمار

الق البذرة على الأرض ولا تقف وترقبها متى تأتي بثمر...! فهذا ليس صالحًا لفكرك ولا لأعصابك...

هي ستأتي بالثمر في حينه... حتى بالنسبة إلى الذين نسوا أنهم ألقوا بذارًا في يوم ما، أو الذين سقطت منهم البذار عفواً بدون قصد... وهكذا أيضًا، اصنع الخير وأنسه. ولا تحزن إن رأيت انه لم يأت بثمر...! فثمر الخير لا بد أن تجنيه: إما هنا، وإما في العالم الآخر. إنه لا يضيع مطلقًا.



[١٥٤] الحق والباطل

كثيرًا ما كانت تقابلنا في الخدمة مشكلة وهي:

الحق الساكت، والباطل الصاخب.

الأغلبية الصامتة، والأقلية الثائرة والمثيرة لغيرها.

[١٥٨] يعيش خارج نفسه!

لماذا تعيش خارج نفسك؟ كل اهتمامك في ما يفعله الناس، وفي أحكامك عليهم، وانفعالاتك بهم، مع تأثير كل هذا على روحياتك؟! أما نفسك فضائعة وسط أحكامك على الآخرين، لا تجد لها وقتاً...! وإن وجدت لها وقتاً، تصدر لنفسك قراراً بالابتعاد عن الناس، لمجرد السأم من تصرفاتهم والضيق من أساليبهم... ولكنك لا تلبث أن تعود بعد حين لتعيش في نفس السجن...!

إن الله في يوم الدين سوف يطالبك بنفسك أولاً قبل أن يسألك عن أنفس الناس. وحتى هؤلاء الذين تتشغل بهم، ماذا فعلت لأجلهم بأحكامك وتعليقاتك؟!



[١٥٩] أهمية الفرد

يحدث أحياناً، في انهماك الراعي في أمور الخدمة المتعددة، أنه ينسى خدمة بعض الأفراد.

ويتوه الفرد وسط زحام الجماهير ويجد نفسه ضائعاً...! ولكن الرب أظهر لنا اهتمامه بالفرد الواحد حينما ترك التسعة والتسعين وذهب يبحث عن الواحد الضال... (لو ١٥ : ٤).

وكانت للسيد المسيح خدمات كثيرة فردية، وسط خدمته للجميع وزحام الآلاف حوله... مثل اهتمامه بزكا، ونيقوديموس، وبطرس، ومريم المجدلية، والمرأة السامرية...



[١٦٠] خدمة القرية

تحتاج القرية إلى خدمة أكثر من المدينة. وإذا لم نهتم بها، فإنها تتعرض للضياع لأسباب كثيرة. وليست خدمة القرية معناها أن يقام فيها القداس من كاهن منتدب إليها: يصلي ثم يتركها بعد القداس مباشرة! إنما القرية تحتاج إلى رعاية وافتقاد وحل مشاكل، وسماع اعترافات، واجتماعات مستمرة وخدمة دائمة، وربط الشعب بالكنيسة وبكل وسائل النعمة. من أجل هذا، قام بعض الآباء الأساقفة بسياسة كهنة لخدمة القرى. وما يقال عن القرى، يقال أيضًا عن الأحياء الفقيرة في البنادر والعواصم، كالقاهرة والإسكندرية وغيرهما.



[١٦١] العماد والميرون في (الموالد)

وكلمة (الموالد) هي تعبير خاطئ يطلقونه على أعياد القديسين. وأعياد القديسين تكون عادة في زحام شديد. والبعض ينذرون أن يعمدوا أولادهم في عيد قديس، وسط هذا الزحام!

ثم يأتون إلينا، والشك يتعبهم من جهة صحة العماد أو صحة الميرون! يقولون: كان العماد سريعاً، والطقس لم يكن كاملاً! أو يقولون: أبونا عمد الطفل ولكنه لم يدهنه بالميرون! أو دهنه ولم يرشمه الستة والثلاثين رشمًا... ولكن العماد وسط زحام يعتمد فيه آلاف الأطفال، ووسط الشكوك في كمال الطقس أمر له متاعبه...

فلماذا تدخل نفسك في دائرة الشك؟!

ونصيحتنا التي نقدمها للمشرفين على أعياد القديسين، وللاباء الكهنة، مراعاة الدقة في الطقس، والزحام ليس عذرًا للخطأ. ويمكن أن الأب الأسقف يكلف عددًا كبيرًا من الabbاء الكهنة، بعضهم يختص بالعماد، وبعضهم يختص بالميرون...



[١٦٢] الله في العمل

إذا دخل الله في عمل، دخلت القوة في هذا العمل. ودخلت فيه البركة

ونجح...

لذلك ابذل كل جهدك، لكي يدخل الله في كل عمل تعمله ويشترك معك

فيه... يعمل معك.

احذر أن تعمل عملاً، لا يشترك الله فيه.

أو تشعر فيه أنك تعمل وحدك، بدون يد الله؟

أليس هو القائل: "بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا" (يو ١٥ : ٥).

★★★

[١٦٣] الإلحاح!

كثيرًا ما يكون الإلحاح متعبًا للسامع، وهكذا أيضًا الكلام المتكرر لفكرة

معينة، سمعها من تكلمه واستوعبها.

وهذا يجعله لا يريد أن يسمع أكثر. وتكرار نفس الكلام بالإلحاح يُرهق

أعصابه ويتعب نفسيته وبضايقه.

وهكذا بالإلحاح يفقد المتكلم قضيته، ويفقد تجاوب المستمع معه.

ويعطي الموضوع حجمًا من الكلام أكثر مما يستحق...

لذلك، إذا فهم سامعك ما تريد أن تقوله، وإذا وجدت أنه بدأ يتضايق من إلحاحك، لا داعي للإكثار.



[١٦٤] نصيحة واحدة

كان يقدم لي مفكرته، في مناسبات عديدة، لكي أكتب له كلمات نصيحة أو إرشاد. وكان يفرح جدًا بما أكتبه له، ولكنه ما كان ينفذ منه شيئاً...! وفي رأس السنة قدّم لي نفس المفكرة، لأكتب له نصيحة بمناسبة العام الجديد. فكتبت له هذه العبارة:

النصيحة الوحيدة التي أكتبها لك في هذا العام الجديد، هي أن تعيد قراءة ما كتبته لك من قبل في هذه المفكرة...



[١٦٥] فرصة زمنية

إن الصبر يحل مشاكل كثيرة...

مشاكل قد يعجز الفكر عن حلها. ولكن بالوقت يمكن أن تحل... وبالصبر

تعطي الله فرصة لكي يتدخل ويحل...

قد تُكلم شخصًا في موضوع معين، فلا يوافق. لا تلح عليه كثيرًا. فربما الإلحاح يتعبه. بل اتركه قليلًا: فقد يعيد التفكير في الموضوع فيقنتع. أو قد تحدث حوادث معينة ترجح له رأيك. أو قد يستشير آخرين في نفس الأمر، ممن يثق بهم، وتكون لهم نفس وجهة نظرك...

أمور كثيرة تحتاج إلى مدى زمني... أو إلى فترة حضانة داخل العقل، حتى تنمو وتنضج.

أما هوة السرعة، فقد يخسرون مواقف عديدة بأسلوب سرعتهم. حتى الأمور التي تحتاج فقط إلى موافقتهم، هذه أيضًا تلزمها فترة زمنية للدراسة والتفكير ومزيد من الفحص ومن الاستشارة. ويلزمهم وقت لعرضها على الله في الصلاة، حتى تظهر مشيئته فيها...



[١٦٦] معاملة خاصة

كان دائمًا يصرّ على أن يعامل معاملة خاصة:
 إذا كانت الزيارة ممنوعة بالنسبة إلى الكل، فلا بد أن تكون مصرّحة له
 هو بالذات، لأن له وضع غير الباقيين!
 إن كان الدير مغلقًا في فترة اعتكاف، فلا يكون مغلقًا بالنسبة إليه
 هو...!

إن كانت الزيجات غير مصرح بها خلال الصوم الكبير، فلا بد أن يصرّح
له هو بالزواج لأن له ظروفًا خاصة تستدعي ذلك.

★★★

[١٦٧] تحت ولا ترغم

كلّ الناس يحبون الحق، ويتحمسون له، ويسعون إلى نشره. وهذا حق
وواجب بلا جدال.

ولكن عمل الإنسان هو أن يشهد للحق. وليس من عمله إطلاقًا أن يرغم
الناس على السير فيه.

الله نفسه لا يرغم الناس على عمل الخير. لقد خلق الإنسان حرًا يعمل
الخير بإرادته، ولا يجبره عليه إجبارًا.

من اجل هذا وُجد في العالم ملحدون لم يرغمهم الله على الإيمان. ولكن
سيدينهم في اليوم الأخير...

وكذلك وجد في العالم خطاة وعصاة، لم يرغمهم الله على عمل البر. ولكنه
سيحاسبهم في يوم الحساب...

وأنت في حماسك للخير وللحق، عملك هو مجرد داعٍ وواعظ، ومنذر...
وليس لك سلطان أن ترغم غيرك. عليك أن تشهد للحق، ولكن لا تستعمل
العنف لترغم الناس أن يصيروا أبرارًا...

إن العنف لا يُخرج قديسين وصديقين... هو وسيلة صالحة للتربية
والتهذيب.

إنما يكون الإصلاح بترغيب الناس في الخير، وإقناعهم به، وتشجيعهم
عليه، ومساعدتهم على ذلك، وتقوية إرادتهم ومعرفة العوائق التي تصادفهم في
طريق الخير ونصحهم بكيفية الانتصار عليها.
والخير الذي يأتي بالافتناع والرضى، يكون أكثر ثباتاً.



[١٦٨] الحكمة في الوقت

الوقت قد يكون في صالحك في بعض الأحيان.
وفي أحيان أخرى قد يكون ضدك.
ربما يكون في صالحك أحياناً أن تتباطأ، حتى تتفهم الموقف وتدرسه،
وترى ما هي أصلح الوسائل لمواجهته.
وفي أحيان أخرى يكون التباطؤ سبب كارثة لك. وقد يضئ عليك فرصاً
يندر أن تعود.
وربما التباطؤ في حل مشكلة يزيدّها تعقيداً ويصبح حلها أصعب بكثير
مما كان وقت بدايتها.

في إحدى المرات تغنى أحدهم بقول الشاعر:

قد يدرك المتأني بعض حاجته .. وقد يكون مع المستعجل الزلل
فرد عليه أحد السامعين بقوله:

وكم أضرّ ببعض الناس بطؤهم .. وكان خيرًا لهم لو أنهم عجلوا
التأني ليس فضيلة في ذاته، ولا السرعة فضيلة في ذاتها... إنما على
الإنسان أن يدرس كل موقف على حده، ويتصرف معه بحكمة، ويرى أي
الأمر أصلح له: السرعة أم التأني.
قد يكون التأني سببًا للدقة. ولكن الدقة إن أتت بعد الميعاد، بعد فوات
الفرصة، لا تفيد شيئًا.

وأحيانًا تكون السرعة لونًا من الحزم، قبل أن يتغشى الخطأ، أو يقتدي به
آخرون.

كالمرض إن أسرع في علاجه، كان ذلك أفضل.
فرق كبير بين أن تنزع غرسًا جديدًا من الأرض بكل سهولة، وبين أن
تنتظر حتى يتحول الغرس الصغير إلى شجرة ضخمة دقت جذورها في
الأرض ولم تعد سهلة الاقتلاع...!
ومع ذلك ففي أحيان أخرى، تكون السرعة ضارة، إذ تعرض الإنسان إلى
الاندفاع، والارتجال، وعدم التفكير، وعدم الدراسة.

وهنا تعرضه للكثير من الأخطاء... والبعض قد يحبون السرعة للفوز بالأسبقية، أو للحصول على نتيجة، أية نتيجة! ولا يهتمم التدقيق! والبعض يحبون السرعة، لأن طبيعتهم هكذا، ينقصها الصبر والروية والهدوء. والبعض يتصرفون بسرعة، لثقتهم بأنفسهم، وبكفاياتهم الشخصية، وشعورهم بعدم الاحتياج إلى مزيد من الدراسة.

على العموم ينبغي أن نفرق بين السرعة والتسرع.



[١٦٩] السلبية

البعض يظن أن السلبية روحانية، لأنه لا يعمل فيها عملاً يتعرض فيه للخطأ، كما أنه فيها لا يصطدم بالمخطئين... بل على العكس يحتفظ بمحبتهم.

ولكن السلبية هي في حد ذاتها خطأ. فالكتاب يقول:

"فَمَنْ يَعْرِفْ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلَا يَعْمَلَ، فَذَلِكَ خَطِيئَةٌ لَهُ" (يع: ٤: ١٧).

ولعل ما يدعو إلى السلبية: محبة الذات، وعدم الاهتمام بالآخرين ولا بالصالح العام... والعجيب أن البعض قد يسلك بسلبية ولكنه في نفس الوقت يغضب ويتضايق إن أخذ أصدقاؤه منه موقفًا سلبيًا.

إن العمل الإيجابي فيه نخوة ورجولة، ومحبة للخير، وله أجره.

[١٧٠] تغطية الأمور أم حلها

مواجهة الأمور والأخطاء والأحداث بصراحة، هي الطريق السليم لحلها.
أما تغطية الأمور فليست حلاً.
إنها قد تعطي تسكيناً مؤقتاً، ولكنها لا تعالج، ويبقى المرض كما هو،
يفتك...

والتغطيات فيها خداع وغالبيتها مكشوفة لا تصمد أمام الواقع...
فالمواجهة أفضل وأصرح وأنفع...
المواجهة تحتاج إلى صراحة مع النفس ومع الآخرين... وتحتاج إلى
شجاعة، لان التغطيات لون من الهروب.
التغطيات لا توصل إلى النقاوة، ولا إلى الحلول وأمام الله كل شيء
مكشوف.

★★★

[١٧١] كتب ومذكرات

في بداية كل عام دراسي، يحتاج أولادنا إلى كتب ومذكرات علمية، قد
تكون غالية الثمن بالنسبة إلى بعضهم.
وهناك فكرة عملية عرضها أحد الآباء، وهي:

الطلبة القدامى الذين اجتازوا بالنجاح فصلاً دراسياً معيناً، واستغنوا عن كتب ومذكرات تلك المرحلة، يمكنهم أن يتبرعوا بما استغنوا عنه لمكتبة الكنيسة، أو يأخذوا بدلاً منها كتب المرحلة التالية التي تركها زملاء لهم قد سبقوهم، أو تدفع لهم الكنيسة ثمنًا رمزيًا.

وتفتح الكنيسة مكتبة دراسية للاطلاع، أو تعطي الكتب للطلبة يدرسونها في بيوتهم للاستعارة الدائمة أو المؤقتة.



[١٧٢] المغفرة، والثقة

قال لي: لقد غفرت له خيانتة التي خانني بها وأنا الذي كنت أترك كل أسراري بين يديه... غفرت له من أجل وصية الرب، ومن أجل ماضيه الطويل في الخدمة معي... ولكن...

فلما سألتها: ولكن ماذا؟ أجنبي وهو ينظر في عمق:

إن المغفرة شيء، والثقة شيء آخر...

لقد غفرت له ولكني ما عدت أثق به السبب خيانتته. ما عدت أعرفه بأسراري. ما عدت أترك مكتبي مفتوحًا له. ما عدت أطمئن إليه...



[١٧٣] مشكلة الإمكانيات

علمتنا الحياة أن العزيمة أهم من الإمكانيات.
فالرجل الضعيف لا يعمل. ويعتذر عن عدم العمل بعدم وجود الإمكانيات
اللازمة للعمل.

بينما الرجل القوي، قد يقف في نفس الموقف، بلا إمكانيات... ولكنه يفكر
ويجاهد للحصول على الإمكانيات، حتى يوجد لها، أو حتى يمنحه الله إياها
نتيجة لصموده، وثبات إرادته، وجهاده وبحثه، وإلحاحه على الله في الصلاة أن
يمنحه الإمكانيات..

أيه إمكانيات كانت مع مار مرقس الرسول لما جاء إلى مصر؟!
لا شيء.. ولكنه مع ذلك عمل كل شيء، بصموده وعمل الله فيه..



[١٧٤] الأمس قد فارقك

علمتني الحياة أن الإنسان لا ينظر مطلقاً إلى خلف. بل ينسى ما هو وراء
ويمتد إلى قدام (في ٣ : ١٣).
الأمس ليس في يدك. لقد فارقك إلى غير رجعة.

أما الحاضر فهو في يدك. والمستقبل تستطيع أن تعمل من أجله. والذي
يتطلع إلى الأمام، يتقدم بغير توقف. وتمتد نظراته حتى إلى الأبدية، وإلى
الله..



الفهرس

٥	مقدمة
٧	[١] لافقة حكيمة
٧	[٢] العين والحاجب
٧	[٣] قمم بلا قواعد
٨	[٤] نصيحة للسائق
٨	[٥] الوقت المناسب
٩	[٦] الصمت
١٠	[٧] موضوعات جانبية
١١	[٨] السهل والصعب
١٢	[٩] رفض!
١٣	[١٠] عيني وأذني
١٣	[١١] عادت إلى الفلك
١٤	[١٢] من الداخل
١٥	[١٣] مرآة محطمة
١٦	[١٤] بينما
١٦	[١٥] الأذن الواحدة
١٧	[١٦] وقت الغروب
١٧	[١٧] أيهما أفضل؟
١٨	[١٨] العمل الجماعي Teamwork
١٩	[١٩] أمامنا طريقان

- ٢٠] مع أب اعترافك ١٩.
- ٢٢] مشاكل أم حلول؟ ١٩.
- ٢٢] الحق المنتقخ ٢٠.
- ٢٣] مَنْ الذي يصلحون؟ ٢٠.
- ٢٤] لها إرادة ٢١.
- ٢٥] لا شيء...! ٢١.
- ٢٦] مساهمة! ٢٢.
- ٢٧] موضوعات جانبية ٢٣.
- ٢٨] لا يكفي ٢٣.
- ٢٩] احتمال الكرامة ٢٤.
- ٣٠] ما يسجله التاريخ ٢٥.
- ٣١] صراحة ٢٦.
- ٣٢] كل جليات له داود ٢٦.
- ٣٣] استغلال التسامح ٢٧.
- ٣٤] حساب ردّ الفعل ٢٨.
- ٣٥] في أخطر مرحلة! ٢٨.
- ٣٦] متى؟ ومتى؟ ٢٩.
- ٣٧] البساطة والحكمة ٢٩.
- ٣٨] بداية بلا نهاية ٣٠.
- ٣٩] في العام الجديد ٣٠.
- ٤٠] احترام الناس لك ٣١.

- ٣٢..... [٤١] أفراح الخماسين
- ٣٢..... [٤٢] إعداد كاهن للمهجر
- ٣٣..... [٤٣] بين الإلغاء والإبقاء
- ٣٤..... [٤٤] التزكيات
- ٣٥..... [٤٥] باسم الشعب
- ٣٦..... [٤٦] حتى ساعة الموت!!
- ٣٧..... [٤٧] شائعة!
- ٣٧..... [٤٨] أخطاء في النعي
- ٣٨..... [٤٩] الرحلات إلى الأديرة
- ٤٠..... [٥٠] الحرية
- ٤١..... [٥١] أغاني شعبية
- ٤١..... [٥٢] التنوع والاختلاف
- ٤٢..... [٥٣] الأمس والغد
- ٤٢..... [٥٤] التعامل مع المشاكل
- ٤٣..... [٥٥] لماذا الإطالة؟!
- ٤٣..... [٥٦] فوضى المنظمين
- ٤٤..... [٥٧] اذكر ... وانس
- ٤٤..... [٥٨] الغد أفضل لك
- ٤٥..... [٥٩] الأحكام المطلقة
- ٤٦..... [٦٠] التحليل، لمن ؟
- ٤٦..... [٦١] هل القائد ينفاد؟!

- [٦٢] حكمة أبيجايل..... ٤٧
- [٦٣] كل الخطايا!..... ٤٧
- [٦٤] الألم..... ٤٨
- [٦٥] مغفرة، ولا خطأ!!..... ٤٨
- [٦٦] المعرفة العملية..... ٤٩
- [٦٧] ملجأ أم معهد حرفي؟..... ٤٩
- [٦٨] الإرادة والسماح..... ٥٠
- [٦٩] قال الشيطان لله..... ٥١
- [٧٠] تريح الناس..... ٥١
- [٧١] المتابعة..... ٥١
- [٧٢] الناس مواقف..... ٥٢
- ٧٣- المخطئ الشاكي..... ٥٣
- [٧٤] روح القانون..... ٥٤
- [٧٥] قسمة!!..... ٥٤
- [٧٦] الله والمشكلة..... ٥٥
- [٧٧] البركة والنظام..... ٥٥
- [٧٨] نسيان الخير - ١ -..... ٥٦
- ٧٩- نسيان الخير - ٢ -..... ٥٧
- [٨٠] تورط..... ٥٨
- [٨١] هل للفكر ثمن؟!..... ٥٨
- [٨٢] سياسة التحويل..... ٥٩

- [٨٣] التلمذة ٦٠
- [٨٤] مدرسة للزواج ٦٠
- [٨٥] على الرغم من ٦١
- [٨٦] يهوذا ٦٣
- [٨٧] العاصفة، بمن تعصف؟ ٦٣
- [٨٨] توبة أم محاولة ٦٤
- [٨٩] أربعة أنواع في النفع والضرر ٦٥
- [٩٠] الأحداث ٦٦
- [٩١] واعظ مشهور ٦٦
- [٩٢] الهروب والتحرر ٦٧
- [٩٣] هل الصمت فضيلة؟ ٦٨
- [٩٤] داخل الكنيسة ٦٨
- [٩٥] متى تعرفه؟ ٦٩
- [٩٦] مراحل ٦٩
- [٩٧] في غيبة المسجل ٧٠
- [٩٨] أحاديث متعبة ٧١
- [٩٩] المتحدث اللبق ٧١
- [١٠٠] أسلوب الضجيج! ٧٢
- [١٠١] سلوك واحد ٧٣
- [١٠٢] أخطأت: ٧٣
- [١٠٣] تعليم الفقير مهنة ٧٤

- ١٠٤] مقاييس خاطئة ٧٤
- ١٠٥] الوسطاء ٧٥
- ١٠٦] وضع عكسي ٧٧
- ١٠٧] الغد أفضل لك ٧٧
- ١٠٨] الحق النسبي ٧٨
- ١٠٩] ألوان من العتاب ٧٩
- ١١٠] الكتابة والضمير ٨٠
- ١١١] عدوى الأمراض النفسية ٨٠
- ١١٢] حدود التساهل والتسامح ٨١
- ١١٣] أهمية الاستمرار ٨٢
- ١١٤] اللحام بالأوكسجين ٨٣
- ١١٥] عربية وعربة ٨٣
- ١١٦] موهبة التفكير ٨٤
- ١١٧] أتعبه (تدينهم)! ٨٤
- ١١٨] في يوم واحد! ٨٦
- ١١٩] التعليم والتسليم ٨٦
- ١٢٠] انضمام على الورق ٨٧
- ١٢١] الأقارب والعشور ٨٨
- ١٢٢] عابد يخطئ! ٨٩
- ١٢٣] لا يستفيد! ٨٩
- ١٢٤] هل أعاتبه؟ ٩٠

- ١٠٤] منبر الكنيسة ١٠٤
- ١٠٥] استعمال مرة واحدة ١٠٥
- ١٠٦] قرارات انفعالية ١٠٦
- ١٠٦] اليوم والغد ١٠٦
- ١٠٧] القبلية ١٠٧
- ١٠٧] شكل هرمي ١٠٧
- ١٠٨] بعد الضياع ١٠٨
- ١٠٩] البذرة والثمار ١٠٩
- ١٠٩] الحق والباطل ١٠٩
- ١١٠] عقوبة بديلة ١١٠
- ١١٠] حدود الطاعة ١١٠
- ١١١] الشرح الكثير ١١١
- ١١٢] يعيش خارج نفسه! ١١٢
- ١١٢] أهمية الفرد ١١٢
- ١١٣] خدمة القرية ١١٣
- ١١٤] العماد والميرون في (الموالد) ١١٤
- ١١٥] الله في العمل ١١٥
- ١١٥] الإلحاح! ١١٥
- ١١٦] نصيحة واحدة ١١٦
- ١١٦] فرصة زمنية ١١٦
- ١١٧] معاملة خاصة ١١٧

- ١٦٧] تحت ولا ترغم ١١٨
- ١٦٨] الحكمة في الوقت ١١٩
- ١٦٩] السلبية ١٢١
- ١٧٠] تغطية الأمور أم حلها ١٢٢
- ١٧١] كتب ومذكرات ١٢٢
- ١٧٢] المغفرة، والثقة ١٢٣
- ١٧٣] مشكلة الإمكانيات ١٢٤
- ١٧٤] الأمس قد فارقك ١٢٤

في هذا الكتاب

هذا الكتاب ليس موضوعاً واحداً، إنه مجموعة من الخبرات والأفكار
والمواقف، متفرقة ومتعددة.

إنه صورة من الحياة، عملية وربما تحمل كل صورة درساً، أو تحمل معنى
خاصاً.

رأيت هذه الصور وأنا سائر في طريق الحياة على مدى سنوات.
وهناك صور أخرى كثيرة رأيته، وليس الآن وقتها... بودي أن أكمل هذا
الكتاب، بكتاب آخر بعد حين.

وهذا الكتاب، ليس ذكريات، ولا مذكرات، إنما هو مجرد معان أمكن
استخلاصها من أحداث وخبرات، وليس أكثر

البابا شنودة